THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190348

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب المحاسن والاضداد

تاليف

ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المصري

امام اهل الادب

سنه ١٣٣٨ هـ

اهتم بطبعه محمد اسمعيل الكهذوي

قد طبع في مطبع انوار احمدى
الواقع فى الهآباد

الطبعة الاولى (٥٠٠)

ثمنه عم
٨ ـ

كتاب الحاسن والاضداد

تأليف

ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

امام اهل الادب

سنة ٢٥٥ هـ

اهداه اطبعه محمد اسمعيل الكتبي

طبع في مطبع الجوائب بقسطنطينية

الطبعة الاولى (٥٠٠) ثمنه (عشر)

فهرست كتاب المحاسن والاضداد

مضمون	صفحه	مضمون	صفحه
مقدمة الكتاب	۱	محاسن الصحبة ۱۲	۶۲
محاسن الكتابة والكتب	۲	ضده	۶۳
ضده	۹	محاسن التطير ۱۳	۶۵
محاسن المخاطبات	۱۰	ضده	۶۶
ضده	۱۵	محاسن الوفاء ۱۴	۶۷
محاسن المكاتبات	۱۶	ضده	۷۲
ضده	۲۱	محاسن السخاء ۱۵	۷۳
محاسن الجواب	۲۱	مساوى البخل	۸۳
ضده	۲۳	محاسن الشجاعة ۱۶	۹۶
محاسن حفظ اللسان	۲۵	ضده	۱۰۰
ضده	۲۷	محاسن حب الوطن ۱۷	۱۱۲
محاسن كتمان السر	۲۸	ضده	۱۱۸
ضده	۳۸	محاسن الدهاء والحيل ۱۸	۱۲۰
محاسن المشورة	۳۳	ضده	۱۲۶
ضده	۳۵	محاسن المفاخرة ۱۹	۱۳۸
محاسن التذكر	۳۶	ضده	۱۵۶
ضده	۳۹	محاسن الثقة بالله سبحانه ۲۰	۱۶۰
محاسن الصدق	۴۰	ضده	۱۶۱
ضده	۴۳	محاسن طلب الورق ۲۱	۱۶۱
محاسن العفو	۴۶	ضده	۱۶۲
ضده	۵۰	محاسن المواعظ ۲۲	۱۶۵
محاسن الصبر على الخلق	۵۲	ضده	۱۶۶
ضده	۵۴	محاسن قصر الامنيا ۲۳	۱۶۷
محاسن المودة	۵۷	ضده	۱۶۹
ضده	۵۸	محاسن الزهد ۲۴	۱۷۵
محاسن الوفاء	۶۰	ضده	۱۷۹
ضده	۶۱	محاسن الموت ۲۵	۱۸۰
		ضده	۱۸۱

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله اجمعين

قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: انى ربما الفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وانسبه الى نفسى فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من اهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته + واكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتاخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان امكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى الف له فهو الذى قصدوه وارادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريرا نقابا ونقريسيا بليغا وحاذقا فطنا واعجز نهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب والفوا من اعراضه وحواشيه كتابا واهدوه الى ملك اخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما راوه منسوبا الى وموسوما بى

وربما الفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه والفاظه فاترجمه باسم غيرى واحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد العتابى ومن اشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيا نيتى اولئك القوم باعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب قراءته علىّ ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتادبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فثبت لهم به رياسة يأتمر بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تاليفى * وهذا كتاب وسمته **بالمحاسن والاضداد** لم اسبق الى نحلته ولم ابتدئ احد صنعته ابتدائه بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شئ من محاسن الموت والله يكلوه من حاسد اذا حسد

محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء ازدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد و

قصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان * وتصنيف الكتب
اشد تقييدا للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء
لاهالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن
ومن امة الى امة فهو ابدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو ابلغ
فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير وكانت العجم تجعل الكتاب
فى الصخور وتنقشها فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان فربما كان
الكتاب هو الباقى وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخا لامر
جسيم او عهدا لامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون
تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب
سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى بنا
الرها بعد ان على المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون
الخط فى ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر
ان يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور * ولولا الحكم المحفوظة و
الكتب المدونة لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر
ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا اكثر النفع
ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت
من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق

فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا مالم نكن ندركه الا بهم لقد نجس
حظنا منه واهل العلم والنظر واصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج
الملل وارباب النحل وورثة الانبياء واعوان الخلفاء يكتبون كتب
الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب اعوان الصلحاء وكتب
اصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية * و
منهم من يفرط في العلم ايام حمله وترك ذكره وحداثة سنه * ولولا
جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت
الى حب الكتب وانفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش
ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى ان يكون
لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير * وسمعت محمد بن
الجهم يقول: اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً
فاجد اهتزازي للفوائد الاريحية التي تعتريني من سرور الاستنباط
وعز التبين اشد ايقاظاً من تهيق الحمار ودهدة الهدم فاني اذا
استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم اوثر عليه عوضاً
ولم ابغ به بدلا فلا ازال ناظرا فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه
مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله * وقال ابن داحة: كان
عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس

فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال فى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال: لم ار اوعظ من قبر ولا انس من كتاب ولا اسلم من الوحدة + واهدى بعض الكتّاب الى صديق له دفترا وكتب معه: هبّ تيى هذه اعزّك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العوادى ولا تخلقها كثرة التقليب وهى انس فى الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والاخرة تؤنس فى الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صديق + وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء + وقال اخر الكتاب جليس لا مؤنة له + وقال اخر: الكتاب جليس بلا مؤنة + وقال اخر: ذهبت المكارم الا من الكتب

قال الجاحظ وانا احفظ واقول: الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل + والكتاب وعاء مُلئ علما وظرف حُشى ظرفا واناء شحن مزاحا ان شئت كان اعيا من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل وان شئت سرّتك نوادره وشجتك مواعظه وعمن لك بواعظ ملهٍ وبناسك فاتك وناطق اخرس ومن لك بطبيب اعرابىّ ورومىّ هندىّ

وفارسي يوناني ونديم مولّد ونجيب ممتّع ومن لك بشئ يجمع
الاوّل والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع و
الوضيع والغثّ والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ٭
وبعد فما رأيت بستانًا يحمل في رزدن وروضة تنقل في حجر ينطق
عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمونس لا ينام الا بنومك
ولا ينطق الا بما تهوى امن من الارض واكتم للسر من صاحب السرّ
واحفظ للوديعة من ارباب الودائع ولا اعلم جارًا امنّ ولا خليطًا
انصف ولا رفيقًا اطوع ولا معلمًا اخضع ولا صاحبًا اظهر كفاية
وعناية ولا اقلّ املالًا ولا ابرامًا ولا ابعد من مراء ولا اترك
لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب ولا اعم
بيانًا ولا احسن مواتاة ولا اعجل مكافاة ولا شجرة اطول عمرًا
ولا اطيب ثمرًا ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكًا ولا اوجد في كل
اوان من كتاب ولا اعلم نتاجًا في حداثة سنه وقرب ميلاده
ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم
الغريبة واثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة و
من الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكميّة والاخبار
عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة

والامم البائدة ما يجمعه كتاب ومن لك بزائر ان شئت كانت زيارته غبًّا وورده خمسا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك + والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق + والكتاب هو الذى ان نظرت فيه اطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم الفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبّت ريح اعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه بادنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وان مثل ما يقطع به الفرّاغ نهارهم واصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء انعام ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك

والنظر الى المارة بك مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن
فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة و
معانيهم الفاسدة واخلاقهم الرديّة وجهالتهم المذمومة لكان فى
ذلك السّلامة الغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن
فى ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب
وكل ما تشتهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه اسبغ النعم واعظم
المنة + وحملة الكتاب و ان كثر ورقة فليس ممّا يمل لانه وان كان
كتابا واحدا فانّه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والاحكام
والمعرفة بالسياسة والتدبير + وقال مصعب بن الزبير: ان الناس
يتحدّثون باحسن ما يحفظون ويحفظون احسن ما يكتبون ويكتبون
احسن ما يسمعون فاذا اخذت الادب فخذه من افواه الرجال
فانك لا ترى ولا تسمع الا مختارا ولؤلؤا منظوما + وقال لقمان
لابنه: يا بنىّ نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب و
قرين غير مغلوب ونفيس حظ من الناس وفى الناس مطلوب +
وقال الزهرى: الادب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال و
لا يبغضه الا مؤنثهم + وقال: اذا سمعت ادبا فاكتبه ولو فى حائط
وقال منصور بن المهدى للمامون: ايحسن بنا طلب العلم

والادب + قال: والله لان اموت طالبا للادب خير لى من ان اعيش قانعًا بالجهل + قال: فالى متى يحسن بى ذلك + قال: ما حسنت الحياة بك ـ

ضده

الحديث المرفوع: رحم الله عبدًا اصلح من لسانه + وكان الوليد بن عبد الملك لحنةً فدخل عليه اعرابي يومًا فقال: انصفنى من ختنى يا امير المؤمنين + فقال: ومن ختنك + قال: رجل من الحى لا اعرف اسمه + فقال عمر بن عبد العزيز: ان امير المؤمنين يقول لك من ختنك + فقال: هو ذا بالباب + فقال الوليد لعمر: ما هذا؟ قال: النحو الذى كنت اخبرتك عنه + قال: لاجرم فانى لا اصلى بالناس حتى اتعلمه + قال وسمع اعرابي مؤذنا يقول: اشهد ان محمدا رسولَ الله فقال: يفعل ماذا + قال وقال رجل لزياد: ايها الامير ان ابينا هلك وان اخينا غصبنا على ميراثنا من ابانا + فقال زياد: ما ضيّعت من نفسك اكثر مما ضاع من ميراث ابيك فلا رحم الله اباك حيث ترك ابنًا مثلك + وقال مولى لزياد: ايها الامير احذ والنا همار وهش + فقال: ما تقول + فقال: احذ والنا ايرا + فقال زياد: الاول خير

من الثانى + قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب: قما فقدا وذيتما امير المومنين + فقال عمر للحاجب: انت والله اشد ايذاءً منهما + قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن: قضى لكم الامير على احسن الوجوه واهنؤها + فقال القاسم التمار: هذا على قوله

إِنَّ سُلَيْمَى واللهِ يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُهَا

فكان احتجاج القاسم اطيب من لحن بشر + قال وكان زياد النبطى شديد اللكنة وكان نحويا فدعا غلامه ثلاثا فلما اجابه قال: من لدن دأوتك الى ان دينتنى ما كنت تصنأ + يريد دعوتك وجئتنى وتصنع + ومرّ ماسرجويه الطبيب بمعاذ ابن مسلم فقال: يا ماسرجويه انى لاجد فى حلقى بحًا + قال: هو من عمل بلغم + فلما جاوزه قال: ترانى لا احسن ان اقول بلغم ولكنه قال بالعربية فاجبته بضدها -

محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرّيّة انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال: من هؤلاء الفتية يا امير المؤمنين + قال: ولد امير المؤمنين + قال: بارك الله لك

فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك فى ابيك +
قال فتنحنح فاه درّا + قال وقال عمارة بن حمزة لابى العباس وقد امر له
بجوهر نفيس : وصلك الله يا امير المؤمنين وبرك فوالله لئن اردنا
شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن
منزلتك + قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد
فقال مالك + قال :

سَوَامِى سَوَامُ المكثرين تجمّلاً ... ومالى كما قد تعلمين قليلُ
وامرءٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصرى ... فذلكِ شئٌ ما اليه سَبيلُ
وكيف اخافُ الفقرَ او حرمَ الغِنى ... ورأيُ امير المؤمنين جميلُ
ارى النّاسَ خُلاّنَ الجوادِ ولا ارى ... بخيلاً له فى العالمين خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت
اركانه ومبانيه والذ على افواه القائلين واسمع السامعين يا غلام
احمل اليه خمسين الف درهم + قال اسحاق : يا امير المؤمنين كيف
اقبل صلتك وقد مدحت شعرى باكثر مما مدحتك به + قال
الاصمعى : فعلمت انه اصيد للدراهم منى + قال ودخل المامون
ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على اذنه قلم فقال من انت +
قال : انا الناشئ فى دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك

الحسن بن رجاء + فقال المامون: بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة الف درهم تقوية له + قال ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر اديه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المامون فقال ليحيى يوما: ادخل الىّ هذا الغلام المجوسى حتى نظر اليه فاصله + فلما مثل بين يديه ووقف تحير فارادا الكلام فارتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال: يا امير المؤمنين ان من ابين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده + فقال له الرشيد: احسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شئ ادركك عندا نقطاعك انه لاحسن واحسن ثم جعل لا يسأله عن شئ الا راه فيه مقدما فضمه الى المامون + قال قال الفضل بن سهل للمامون وقد سأله حاجة لبعض اهل بيوتات دهاقين سمرقند وكان وعده تعجيل انفاذها فتاخر ذلك: هب لوعدك مذكرا من نفسك وهنئ سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حثا على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود + فقال: قد جعلت

اليك اجابة سؤالى عنى بما ترى فيهم واخذك فى التقصير فيما يلزم
لهم من غير استئمار او معاودة فى اخراج الصكاك من احضر الاموال
متنا ولا + قال اذا لا تجدى معرفتى بما يجب لامير المؤمنين الهناء به
بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد بدعائهم طول البقاء + وقال
الفضل بن سهل للمامون يا امير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة
لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال + فقال والله
لا كان ذلك الا كذلك + قال ودخل العتابى على المامون فقال
خبرت بوفاتك فهمتنى ثم جاءتنى وفادتك فسرتنى + فقال يا امير
المؤمنين كيف امدحك امر بما ذا اصفك ولا دين الا بك ولا دنيا
الا معك + قال سلنى ما بدا لك + قال يدالك بالعطية اطلق من لسانى
بالمسئلة + قال وقدم السعدى ابو وجزة على المهلب بن ابى صفرة
فقال اصلح الله الامير انى قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك
ابا ط الابل من يثرب + قال فهل اتيتنا بوسيلة او عشرة
او قرابة + قال لا ولكنى رايتك لحاجتى اهلا فان قمت بها
فاهل ذلك وان يحل دونها حائل لم اذمم يومك ولم ايأس
من غدك + فقال المهلب يعطى ما فى بيت المال + فوجد مائة الف
درهم فدفعت اليه فاخذها وقال

يا مَن على الجُودِ صاغ اللهُ راحتَهُ فليس يُحسِنُ غيرَ البَذلِ والجُودِ
عَمَّتْ عطاياكَ مَن بالشَّرقِ قاطِبَةً فانتَ والجُودُ مَنحُوتانِ مِن عُودِ

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب ان يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها + وقد قال الاصمعى -

امَا الواعى كلَّ ما اَسمَعُ واحفَظُ من ذاكَ ما اجمَعُ
ولم اَستفِدْ غيرَ ما قد جَمَعتُ لَقيلَ انا العالِمُ المُقنِعُ
ولكنَّ نفسى إلى كلِّ شئٍ من العِلمِ تَسمَعُهُ تَنزِعُ
فلا انا اَحفَظُ ما قد جَمَعتُ ولا انا مِن جمعِه اَشبَعُ
واَقعُدُ للجَهلِ فى مَجلِسٍ وعلمِى فى الكُتبِ مُستَودَعُ
ومَن يَكُ فى عِلمِه هكذا يكُن دَهرَهُ القَهقَرى يَرجِعُ
يَضيعُ مِنَ المالِ ما قد جَمَعتَ وعلمُك فى الكُتبِ مُستَودَعُ
اذا لم تَكُن حافِظًا واعيًا فجمعُك لِلكُتبِ ما يَنفَعُ

وقال بعضهم الحفظ مع الاقلال ممكن وهو مع الاكثار ابعد و تغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن اقبل + وفيها قال الشاعر -

اَتانى هَوَاها قبلَ اَن اعرِفَ الهَوَى فصادَفَ قلبًا خاليا فتَمكَّنا

وقيل العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر + فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير اكثر عقلا و لكنه

اكثر شغلا كما قال۔

وانّ من ادّبته فى الصّبا ... كالعود يُسقى الماء فى غرسه
حتّى تراه مورقًا ناضرًا ... بعد الذى ابصرته من يُبسه

والصبىُّ عن الصبى افهم وهو له الف واليه انزع + وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل + وقال الله تعالى ولو جعلناهُ ملكًا لجعلناه رجلًا لان الانسان عن الانسان افهم وطباعه بطباعه انس۔

ضده

قال دخل ابو علقمة النحوى على عين الطبيب فقال انى اكلت من لحوم الجوازئ وطسئتُ طسأة فاصابنى وجع بين الوابلة الى داية العنق فلم نزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال نعم خذ خوفقًا وسريقًا ورقرقًا فاغسله واشربه بماء + فقال لا ادرى ما تقول + قال ولا انا دريت ما قلت + قال وقال يومًا اخرانى اجد معمعة فى قلبى وقرقرة فى صدرى + فقال له اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فهى ضراط غير نضيح + قال واتى رجل الهيثم ابن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال اصلح الله الامير ان لى على هذا حقا قد غلبنى عليه + فقال له الاخر اصلحك الله ان

هذا اباعنى عنجدا واستنسأته حولا وشرطت عليه ان اعطيه مياومة فهو لا يلقانى فى لقم الا اقتضانى ذهبا + فقال له الهيثم امن بنى امية انت ؟ قال لا + قال افمن بنى هاشم انت ؟ قال لا + قال افمن اكفائهم من العرب ؟ قال لا + قال ويلى عليك انزعوا ثيابه + فلما اراد وا ان ينزعوا ثيابه قال صلحك الله ان ازارى مرعبل + قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع + قال ومرّ ابو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرّة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون فى اذنه فافلت من ايديهم فقال ما لكم تتكاكاون علىّ تكأكؤكم ذى جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية + قال وقال لحجام بحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهنّ ابيا ولا تردّنّ اتيا فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف -

محاسن المكاتبات

قال كعب العبسى لعروة بن الزبير قد اذنبت ذنبا الى الوليد ابن عبد الملك وليس يزيل غضبه شئ فاكتب لى اليه + فكتب اليه لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب

ان لا تحرمه التقيؤ بظل عفوك الذى تامله القلوب ولا تتعلق به
الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط
فحقق امله وصدق ثقتى بك تجدنى لشكر وافيا بالنعمة * فكتب اليه
الوليد قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك له عندى
ما يجب فلا تقطع كتبك عنى فى امثاله وفى سائر امورك وكتب عبد الله
ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه اما بعد فقد
عاقنى الشك عن عزيمة الرأى ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم
اعقبتنى جفاء من غير ذنب فاطمعنى اولك فى احسانك واياسنى
آخرك من وفائك فلا انا فى غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا انى غد
انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف ايضاح الرأى فيك
فاقمنا على ائتلاف او افترقنا على اختلاف * قال وسخط مسلمة
ابن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة
فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه ان من حفظ انعم الله
رعاية ذوى الاسنان ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب
ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت اودعت
العريان نعمة من انعمك فسلبتها عجلة سخطك وما انصفته غضبة
على ان ولّيته ثم عزلته وخليطه وانا شفيعه فاحب ان تجعل له

من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما اودعته وتنوى له
ما افدته + فعفا عنه وردّه الى عمله + قال وغضب سليمان بن عبد الملك
على ابن عبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه
اما بعد فان امير المؤمنين في الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه
رعيته وفي عفو امير المؤمنين سعة للمسيئين + فرضى عنه +
قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض
فكتب اليه اما بعد فقد تركتنى منتظرا الوعد لك منتجزا الوفد لك و
صاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة او لا مريحة والعذر الجميل
احسن من المطل الطويل وقد قلت بيتى شعر

بَسَطتَ لسانى ثمَّ اَوثَقتَ بَسطَهُ فنصفُ لسانى بامتدَاحك مُطلَقُ
فان انتَ لم تُنجِز عِدَاتى تَركتَنى وباقِى لِسانِ الشُّكرِ بالياسِ مُوثَقُ

قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون في رجل من بنى ضبة
يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا اما بعد فقد
استشفع بى فلان يا امير المؤمنين لتطوّلك علىّ فى الحاقه بنظرائه
من الخاصة فيما يرتزقون به واعلمته ان امير المؤمنين لم يجعلنى
فى مراتب المستشفعين وفى ابتذاله بذلك تعدى طاعته والسلام

ل التواء الهلال ١٢

فكتب اليه المامون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك و
اجبناك اليهما ووقفناك عليهما + قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون
كتابا يستعطفه على الجند كتابا الى امير المؤمنين ومن قبلى من اجناده
وقواده فى الطاعة والانقياد على احسن ما تكون عليه طاعة جند
تاخرت ارزاقهم واختلت احوالهم + فقال المامون والله لاقضين
حق هذا الكلام وامر باعطائهم لثمانية اشهر + قال وقدم رجل
من ابناء دهاقين قريش على المامون لعدة سلفت منه فطال على
الرجل انتظار خروج امر المامون فقال لعمرو بن مسعدة توصل فى
رقعة منى الى امير المؤمنين تكون انت الذى تكسبها تكون لك
على نعمتان + فكتب ان رأى امير المؤمنين ان يفك اسر عبده
من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له فى الانصراف الى بلده
فعل ان شاء الله + فلما قرأ المامون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه
من حسن لفظها وايجاز المراد + فقال عمرو فما انتيجتها يا امير المؤمنين +
قال الكاتب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتاخر
فضل استحسانا كلامه وبجائزة مائة الف درهم صلة عن
دناءة المطل وسماجة الاغفال + ففعل ذلك له + وحدثنا اسماعيل
ابن ابى شاكر قال لما اصاب اهل مكة السيل الذى شارف الحجر

وساب تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي
الحرمين الى المامون ان اهل حرم الله وجيران بيته وأهل مسجده
وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت اخباره
في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجياح الاصول والجرف
الا بقال حتى ما ترك طارقا ولا تالدا للراجع اليها في مطعم ولا ملبس
فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات
والآباء والاجداد فاجبرهم يا امير المومنين بعطفك عليهم
واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم +
قال فوجه اليهم المامون بالاموال الكثيرة + وكتب الى عبيد الله
اما بعد فقد وصلت شكيتك لاهل حرم الله امير المؤمنين فبكاهم
بقلب رحمته وانجدهم بسبب نعمته وهو متبع ما اسلفه اليهم
بما يخلفه عليهم عاجلا واجلا ان اذن الله في تثبيت عزمه على
صحة نيته + قال فصار كتابه هذا انس لاهل مكة من الاموال التي
انفذها اليهم + قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى
ابن خالد يستعفيه من العمل شكري لك على ما اريد الخروج منه
شكر من سأل الدخول فيه + قال وكتب علي بن هشام الى اسحاق
ابن ابراهيم الموصلي + ما ادري كيف اصنع اغيب فاشتاق والتقي

ولا اشتفى ثم يحدث لى للقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة + قال وكتب معقل الى ابى دلف فلان جميل الحال عنده الكرامة فان انت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك + وكتب ابو هاشم الحربى الى بعض الامراء + غرضى من الامير معونة والصبر على الحرمان معجز + وكتب آخر الى صديق له اما بعد فقد اصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه والله يرى ما نشكر اجميل ما نشاهد من كثير ما ستر من عظيم ما ابلى من كثير ما عفى غير انه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن الائه -

ضده

قال الجاحظ كتب ابن المراكبى الى بعض ملوك بغداد جُعلتُ فداك برحمته + قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشمرى + للموت لنا قبلة + وقرأت ايضا على عنوان كتاب الى الذى كتب الىّ -

محاسن الجواب

قال دخل رجل على كسرى ابرويز فشكا اليه عاملا غصبه على ضيعة له فقال له كسرى منذ كم هى فى يدك قال منذ

اربعين سنة قال فانت تأكلها اربعين سنة ما عليك ان يأكل
عامل منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك ان يأكل هو ام
جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا في قفاه فاخرجوه فلما خرج
امكنته التفاته فقال دخلت بمظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى
ردوه وامر برد ضيعته وصيره في خاصته + ويقال ان سعيد بن
مرة الكندي حين اتا معاوية + قال له انت سعيد قال امير المؤمنين
سعيد وانا ابن مرة + قال ودخل لسيد بن انس الازدي على
المامون + فقال انت السيّد فقال انت السيّد يا امير المؤمنين
وانا ابن انس قال وقيل للعباس بن عبد المطلب انت اكبر ام
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلوة والسلام
اكبر مني وانا ولدت قبله قال وقال الحجاج للمهلب انا اطول ام
انت قال الامير اطول وانا ابسط قامة منه + قيل ووقف المهدي
على امرأة من بني ثعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيئ قال
ما منع طيأ ان يكون فيها اخر مثل حاتم قالت الذي منع العرب
ان يكون فيها اخر مثلك فاعجب بقولها ووصلها + قيل ولما
استوثق امر العراق لعبد الله بن الزبير وجّه مصعب اليه وفدا
فلما قدموا عليه قال لهم وددت ان لي بكل خمسة منكم رجلا من

اهل الشام فقال رجل من اهل العراق یا امیر المؤمنین علقناك وعلقت باهل الشام وعلق اهل الشام بآل مروان فما اعرف لنا مثلا الا قول الاعشی۔

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

فما وجدنا جوابًا احسن من هذا + قال وقال سلمة بن عبد الملك ما شئ یؤتی العبد بعد الایمان بالله تعالی احب الی من جواب حاضر فان الجواب اذا انقعب لم یکن شیئا۔

ضده

قال اجتمع عند رسول الله صلی الله علیه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو ابن الاهتم فذکر عمرو الزبرقان قال بابی انت وامی یا رسول الله انه لمطاع جواد الکف مطاع فی ادانیه شدید العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان بابی انت وامی یا رسول الله انه لیعرف منی اکثر من هذا ولکنه یحسد نی + فقال عمرو والله یا نبی الله ان هذا الزمر المروءة ضیق العطن لئیم العم احمق الخال + فرأی الکراهیة فی وجه رسول الله صلی الله علیه وسلم لما اختلف قوله فقال یا رسول الله ما کذبت فی الاولی ولقد صدقت فی الاخری ولکنی رضیت فقلت احسن ما علمت وسخطت فقلت اسوأ ما اعلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما + وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن ابى طالب غلبك علىّ على الثروة والعدد قال وسبقنى واياك الى الجنة قال الوليد اما والله ان شد قيك لمتضمخان من دم عثمان قال عقيل مالك ولقريش وانما انت فيهم كنيم المسير فقال الوليد والله انى لارى لوان اهل الارض اشتركوا فى قتله لوسعهم واصعودا فقال له عقيل كلّا اما ترغب عن صحبة ابيك + قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم قال ان اسمك لكذب ما انت بخالد وان ابا ك لصفوان وهو حجر وان جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم قال له خالد من اى قريش انت قال من عبد الدار بن قصى بن كلاب قال لقد هشمتك هاشم وامتك امية وجمعت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصى فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا + قيل ومر الفرزدق فراى خليفة الشاعر فقال له يا ابا فراس من القائل

هو القبرُ وابنُ القينِ لا قينَ مثلُه ... لفظعِ المساعى وابنُ كلِّ الاداهمِ

قال الفرزدق الذى يقول

هو اللصُّ وابنُ اللصِّ لا لصَّ مثلُه ... لنقبِ جدارٍ او لسلِّ الدراهمِ

محاسن حفظ اللسان

قال اكثم بن صيفي مقتل الرجل بين فكّيه - يعني لسانه - وقال ربّ قول اشدّ من صول + وقال لكل ساقطة لاقطة + وقال المهلب لبنيه اتقوا زلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه + قال يونس بن عبيد ليست خلة من خلال الخير تكون في الرجل هي احرى ان تكون جامعة لانواع الخير كلها من حفظ اللسان + وقال قسامة بن زهير يا معشر الناس ان كلامكم اكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر + وكان يقال ينبغي للعاقل ان يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه وقال الشاعر -

عليكَ حِفْظَ اللسانِ مُجْتَهِدًا ... فإنَّ جُلَّ الهَلاكِ في زَلَلِهِ

غيره

وجُرْحُ السَّيفِ تأسُوهُ فيبرأُ ... وجُرْحُ الدَّهرِ ما جَرَحَ اللسانُ
جِراحاتُ الطِّعانِ لها التِيَامُ ... ولا يَلْتَامُ ما جَرَحَ اللسانُ

غيره

احفَظْ لسانَكَ لا تقولَ فتُبْتَلى ... إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

غيره

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ عَلِمْتُ مَكَانَهُ اَحَقُّ بِسِجْنٍ مِن لِسَانٍ مُذَلِّلٍ
عَلَيَّ فِيكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيكَ قَوْلُهُ بِثِقْلٍ شَدِيدٍ حَيْثُمَا كُنْتَ فَاثْقِلِ

قيل تكلم اربعة من الملوك باربع كلمات كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى الاردم ما قل اقدرمني على رد ما قلت وقال ملك الهند اذا تكلمت بكلمة ملكتني وان كنت املكها وقال قيصر لا اندم على ما لم اقل وقد ندمت على ما قلت وقال ملك الصين عاقبة ما قد جرى به القول اشد من الندم على ترك القول وقال بعضهم من حصافة الانسان ان يكون الاستماع احب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم وقال بعض الحكماء من قدر على ان يقول فيحسن فانه قادر على ان يصمت فيحسن وقال بعضهم كان ابن سيدة الزيحاني المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول الصمت امان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال ابو عبيد الله كاتب المهدي كن على التماس الحظ بالسكوت احرص منك على التماسه بالكلام وكان يقال من سكت فسلم كان كمن قال فغنم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يكره الانبعاق في الكلام

يرحم الله امرأً اوجز فى كلامه واقتصر على حاجته قيل لرجل سقراط عند قتله بكلام اطاله فقال لسانى اول كلامك طول عهده فارق آخره فهمى لتقاوته ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال لها ما يبكيك قالت تقتل ظلمًا قال وكنت تحبين ان اقتل حقًا او اقتل ظلمًا وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما اعرف مساويه وكرهت ان ابهته بما ليس فيه وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال حملت الى المتوكل وادخلت عليه فقال يا اباعبد الله الزم اباعبد الله يعنى المعتز حتى تعلمه من فقه المدنيين فادخلت حجرة فاذا انا بالمعتز قد اتى فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول

يُصَابُ الفَتَى من عَثْرَةٍ بلسانه ... وليس يُصَابُ المرءُ من عثرة الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فيه تَرْمِى برَأسه ... وعَثْرَته بالرِّجلِ تبرَا على مَهْلِ

فقلت فى نفسى ضممتُ الى من اريد ان اتعلم منه۔

ضمار ٥

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما غبر به عن شئ فهو افضل منه ٭ و سئل اخر عنهما فقال اخزى الله المساكتة ما افسدها للسان واجلبها

للعي ووالله للمماراة في استخراج حق احدهم للعي من النار في يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما في المماراة من الذم فقال ما فيها اقل ضررا من السكتة التي تورث عللا وتولد داء ايسره العي * وقال بعض الحكماء اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن * وممن افرط في قوله فاستقبل بالحلم ما حكي عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين ابي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال ابو مسلم يحاوره الى ان قال له شهرام يا لقطة فصمت ابو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه واقبل معتذرا خاضعا ومتنصلا فلما راى ذلك ابو مسلم قال لسان سبق ووهم اخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لي لاني جرأتك على نفسي بطول احتمالي منك فان كنت معتمدا للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام ايها الملك عفوك مثلك لا يكون غرورا قال اجل قال ان عظيم ذنبي لن يدع قلبي يسكن ويلج في الاعتذار فقال ابو مسلم يا عجبا كنت تسيء وانا احسن فاذا احسنت اسأت -

محاسن كتمان السر

قال كان المنصور يقول الملك يحتمل كل شيء من اصحابه الا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك * وكان يقول سرك

من دمك فانظر من تملكه * وكان يقول سرك لا تطلع عليه غيرك وان من انفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبرم * وقيل لابى مسلم باى شئ ادركت هذا الامر قال ارتديت بالكتمان وائتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فادركت طلبتى وحزت بغيتى وانشد فى ذلك ـ

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا
ما زلت اسعى عليهم فى ديارهم ... والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينبهها قبلها احد
ومن رعى غنما فى ارض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الاسد

قال وقال عبد الملك بن مروان للشعبى اما دخل عليه جنبى خصالا اربعا لا تطربنى فى وجهى ولا تجرئن على كذبة ولا تمت بن عندى احدا ولا تفشين لى سرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على انجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذى نعمة محسود وانشد اليزيدى فى ذلك ـ

النجم اقرب من بيت اذا اشتملت ... منى على السر احشاء واضلاع

غيره

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدا ... من السر ما يطوى عليه ضميرها

فما يحفظ المكتوم من سر أهله ... اذا عقد الاسرار ضاع كثيرها
من القوم الا ذو عفاف يعينه ... على ذاك منه صدق نفس وخيرها

قال معاوية بن ابى سفيان اعنت على على بن ابى طالب باربع خصال كان رجلا طهرة علقة لا يكتم سرا وكنت كتوما لسرى وكان لا يسعى حتى يفاجئ الامر مفاجاة وكنت ابادر الى ذلك وكان فى اخبث جند واشدهم خلافا وكنت فى اطوع جند واقلهم خلافا وكنت احب الى قريش منه فقلت ما شئت فلله من جامع الى ومفرق عنه . وكان يقال لكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره فمن احسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن اساء فليستغفر الله + وقال بعضهم كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر ايسر من الندم على افشائه . وقال بعضهم ما اقبح بالانسان ان يخاف على ما فى يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره ما فى قلبه من سر نفسه و سر اخيه ومن عجز عن تقويم امره فلا يلومن الا نفسه ان لم يستقم له وقال معاوية ما افشيت سرى الى احد الا اعقبنى طول الندم والشدة الاسف ولا اودعته جوانح صدرى فحكمته بين اضلاعى الا اكسبنى محمدا وذكرا وسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص +

وكان يقول ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن وضع صنع الحبيك على حسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوا ما كنت واجدا لها في الخير مذهبا وما كافات من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء * وحدث ابراهيم بن عيسى قال ذاكرت المنصور ذات يوم في ابي مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل ما فعل فانشد -

تَقَسَّمَنِي امرَانِ لم اَ فَتَخِهِمَا ... بِجَزمٍ ولم تَعرِكهُما لي الكَرَائِرُ
وما ساوَرَ الاحشاءَ مثلُ دفينةٍ ... من الهمِّ رَدَّتها اليك المعاذِرُ
وقد عَلِمت افناءُ عَدنانَ انني ... على مِثلِها مِقدامةٌ مُتجاسِرُ

وقال اخر

صُنِ السِّرَّ بالكِتمانِ يَرتَدِ غِبطَةً ... فقد يُظهِرُ السِّرَّ المُضيعُ فيَندَمُ
ولا تُفشِيَنَّ سِرًّا الى غيرِ اهلِهِ ... فيَظهَرُ خَرقُ الشَّرِّ مِن حَيثُ يُكتَمُ
ومازِلتُ في الكِتمانِ حتى كانني ... بِرَجعِ جوابِ السَّائِلِ عنه اَعجَمُ
لِنَسلَمَ مِن قولِ الوُشاةِ وتَسلَمي ... سَمِتِ وهل حَيٌّ على الدَّهرِ يَسلَمُ

وقال اخر

اَمِنّی تخافُ انتشارَ الحدیثِ ... وحظّیَ فی سَتْرِہ اَوْ وَقرُ
ولولم اَصُنْہُ لِبُقْیا علیکَ ... نظرتُ لنفسی کما تنظُرُ

وقال ابونواس

لا تُفْشِ اسرارَکَ للناسِ ... وداوِ احزانَکَ بالکاسِ
فان ابلیسَ علی ما بہٖ ... اَرَّاف بالناس من الناس

وقال المبرد احسن ما سمعت فی حفظ اللسان والسر ما روی لامیر المؤمنین علی بن ابی طالب کرم اللہ وجہہ

لَعمرُکَ اِنَّ وُشاۃَ الرجا ... ل لا یترکون ادیماً صحیحاً
فلا تُبْدِ سِرَّکَ الا الیکَ ... فان لکلِّ نصیحٍ نصیحاً

وقال العتبی

ولی صاحبٌ سِرّی المکتّمُ عندہٗ ... محارِیقُ نیرانٍ بلیلٍ تُحَرَّقُ
غَدَوْتُ علی اسرارِہٖ فکسَوْتُھا ... ثیاباً مِنَ الکِتمانِ ما تتخرّقُ
فمَن کانتِ الاسرارُ تَطْفُو بصدرِہٖ ... فاسرارُ صدری لا تزالُ تُغرّقُ
فلا تُودِعَنَّ الدھرَ سِرَّکَ احمقاً ... فانکَ ان اودعتَہٗ منہُ احمقُ
وحسبُکَ فی سَترِ الاحادیثِ واعظاً ... مِنَ القولِ ما قالَ الادیبُ لمُوفّقُ
اذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسہٖ ... فصدرُ الذی یستودعُ السرَّ اضیقُ

وقال اخر

لا يكتم السرّ الا كلّ ذى خطرٍ والسرّ عند كرام الناس مكتومُ
والسرّ عندى فى بيتٍ له غلقٌ قد ضاع مفتاحهُ والباب مردومُ

قيل دخل ابو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره فى عتبة فقال ما احسنت فى حبّك ولا اجملت فى اذاعة سرك .. فقال

مَن كان يزعُمُ انّ سيكتمُ حُبّهُ او يستطيعُ السّترَ فهو كذوبُ
الحُبُّ اغلبُ للرّجالِ بقهرِهِ مِن ان يُرى للسرّ فيه نصيبُ
واذا بدا سرُّ اللبيب فانهُ لم يبدُ الا والفتى مغلوبُ
انى لاحسُدُ ذا هوى مُستحفظًا لم تتّهِمهُ اعينٌ ومُقلوبُ

فاستحسن المهدى شعره وقال قد عذرناك على اذاعة سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر احسن من اذاعته . و قال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع الا احد رجلين اما اخرى يرجو ثواب الله او دنيا وى له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر وقال المهلب ما ضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر كما قال الشاعر

وربّما كتم الوقورُ فصرّحتْ حركاتُهُ للناسِ عن كِتمانهِ

ولربما رزق الفتى بسكوته ... ولربما حرم الفتى ببيانه

وقال اخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سترها ... فسترك عند الناس فشى واضيع

وقال اخر

لسانى كتوم لاسرارركم ... ودمعى نموم لسرى مذيع

فلولا الدموع كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لى دموع

محاسن المشورة

يقال اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى امره ما يحب وقال اخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصفح وقيل من وعظ اخاه سرا زانه ومن وعظه جهرا شانه وقال اخر الاعتصام بالمشورة نجاة وقال اخر نصف عقلك مع اخيك فاستشره وقال اخر اذا اراد الله لعبد هلاكا اهلكه برايه وقال اخر المشورة تقوم اعوجاج الراى وقال اخر اياك ومشورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن

ضده

قال بعض اهل العلم لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك

لك وظهور فقرك اليه لوجب اطراح ما تفيده المشورة والقاء ما يكسبه
الامتنان وما استشرت احدًا الا كنت عند نفسي ضعيفًا وكان عندي
قويًا وتصاغرت له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك
المذاهب واختلفت عليك المسالك واداك الاستبهام الى الخطأ
القادح فان صاحبها ابدا مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد
فان صاحبه ابدا جليل في العيون مهيب في الصدور ولن تزال كذلك
ما استغنيت عن ذوي العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون
ورجفت بك اركانك وتضعضع بنيانك فسد تدبيرك واستحقرك
الصغير واستحقت بك الكبير وعرفت بالحاجة اليهم + وقيل نعم
المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة
الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد
ابن ابي مسلم كاتب الحجاج فقال له اشر عليّ فقال لا ادري بما اشير
ولكن اعتذر بما قدرت عليه واشار بذلك عليه كافة اصحابه قال الشعبي
فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت
عليه بالامرة ثم قلت ايد الله الامير ان الناس قد امروني ان اعتذر
بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله ان لا اقول في مقامي هذا الا الحق
قد جهدنا وحرضنا فما كنا بالاتقياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد

نصرك الله علينا واظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج انت والله احب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت انت ومن باشعبي فقلت ايها الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستحليت الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم اجد من الامير خلفا قال صدقت وانصرفت

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء: حسن شكرك عمن لا يستحق واسترضاء وجهك بالقناعة وقال الفضل بن سهل من احب الازدياد من النعم فليشكر ومن احب المنزلة فليكف ومن احب بقاء عزه فليسقط دالة وكره. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف.

لقد ثبتت في القلب مني مودة ... كما ثبتت في الراحتين الاصابع

قال واصطنع رجل رجلا فسأله يوما اتحبني يا فلان قال نعم احبك حبا لو كان فوقك لاظلك او كان تحتك لاقلك + وقال كسرى انوشروان المنعم افضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر + واختصر حبيب بن اوس هذا في سمع واحد فقال

لهان علينا ان نقول وتفعلا

الباهلى عن ابى فروة قال مكتوب فى التوراة اشكر من انعم عليك
وانعم على من شكرك فانه لازوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا
كفرت والشكر زيادة فى النعم وامان من الغير + وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغى والغدر
وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر وانشد الحطيئة
عمر وكعب الاحبار عنده

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

فقال كعب : يا امير المؤمنين من هذا الذى قال هذا فانه
مكتوب فى التوراة فقال عمر كيف ذلك قال فى التوراة مكتوب : من
يصنع الخير لا يضيع عندى لا يذهب العرف بينى وبين عبدى + و
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس قد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فما هذا الاجتهاد فقال : افلا اكون عبدا شكورا +
وفى الحديث ان رجلا قال فى الصلوة خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم ربنا لك الحمد حمدا مباركا طيبا زكيا فلما انصرف
صلى الله عليه وسلم قال ايكم صاحب الكلمة قال احدهم انا يا
رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون ايهم
يكتبها اولا + وقيل نسيان النعمة اول درجات الكفر + وقال

امیر المؤمنین علی رضی الله عنه المعروف یکفر من کفره لانه یشکرك علیه اشکر الشاکرین وقد قیل فی ذلك۔

یَدُ المَعرُوفِ غُنمٌ حیثُ کانتْ تَحَمَّلَها کفورٌ اَم شکورُ
فعِندَ الشاکِرِینَ لها جَزَاءٌ وعندَ اللهِ ما کَفَرَ الکَفُورُ

وقال بعض الحکماء ما انعم الله علی عبد نعمة فشکر علیها الا ترك حسابه علیها وقال بعض الحکماء عند التراخی عن شکر النعم تحل عظائم النقم وکان رسول الله صلی الله علیه وسلم کثیرا ما یقول لعائشة ما فعل بیتك فتنشده۔

یَجزیكَ او یُثنِی علیكَ وانّ مَنْ اَثنَی علیكَ بما فَعلتَ کَمَنْ جَزَی

فیقول صلی الله علیه وسلم صدق القائل یا عائشة انّ الله اذا اجری علی ید رجل خیرا فلم یشکره فلیس لله بشاکر + وقیل لذی الرمة لم خصصت بلال ابن ابی بردة بمدحك قال: لانه وطأ مضجعی واکرم مجلسی واحسن صلتی فحق لکثیر معروفه عندی ان یستولی علی شکری + ومنهم من یقدم ترك مطالبة الشکر وینسبه الی مکارم الاخلاق + من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر معروفه شکرك عاجل المکافاة۔ وقال بعض الحکماء ان الکفر یقطع مادة الانعام فکذلك الاستطالة بالصنیعة تحق الاجر وقال علی بن عبیدة

من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه وفى فصل من كتاب ولست اقابل ايادیك ولا استديم احسانك الا بالشكر الذى جعل الله للنعم حارسًا وللحق مؤديًا وللمزيد سببًا۔

ضده

قال بعض الحكماء المعروف الى الكرام يعقب خيرًا والى اللئام يعقب شرًا ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا و تشرب منه الافاعى فيعقب سما وقال سفيان وجدنا اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقال اثار جماعة من الاعراب ضبعا قد دخلت خباء شيخ منهم فقالوا اخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بى فانصرفوا وقد كانت هزيلا فاحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم فى ذلك

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ اهْلِهِ ... يُلَاقِ الَّذِى لَاقَى مُجِيرُ اُمِّ عَامِرِ

اقَامَ لَهَا لَمَّا اناخَتْ بِبَابِهِ ... لِتَسْمَنَ البَانَ اللِّقَاحَ الدَّرَائِرِ

فَاسْمَنَهَا حَتَّى اذَا مَا تَمَكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بِانْيَابٍ لَهَا وَاظَافِرِ

فَقُلْ لِذَوِى المَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ ... يَجُودُ بِاِحْسَانٍ الَى غَيْرِ شَاكِرِ

قيل واصاب اعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها فقال الاعرابي يذكر ذلك۔

غَذَوْتُكَ شُوَيْهَتِي ونَشَأْتَ عِندِي فَمَنْ ادْراكَ انَّ اباكَ ذِيبُ
فَجَعتَ نُسَيَّةً وصِغارَ قَوْمٍ بِشاتِهِمُ وانتَ لها رَبِيبُ
اذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ فليسَ بنافعٍ ادبُ الاَدِيبِ

وفي المثل سمن كلبك يأكلك وانشد۔

هُمُ سَمَّنُوا كلبًا ليأكلَ بعضَهم ولو عملوا بالحَزْمِ ما سَمَّنُوا كلبا

وقال آخر

وانّي وقَيسًا كالمُسَمِّنِ كلبَهُ فحَدَّثَه انيابُهُ واظافِرُه

ويضرب المثل بسِنِمّار وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فاعجبه وكره ان يبنى لغيره مثله فرمى به من اعلاه فمات فقيل فيه

جزَيتا بنى سَعدٍ بِحُسْنِ بَلائِهِم جزاءَ سِنِمّارٍ وما كان ذا ذَنْبِ

وقال بشار[1]

اُثنِي عليكَ ولي حالٌ تُلَذِّيني فيما اقولُ فاستَحْيِي من الناسِ

---

[1] المشهوران الابيات لابى العتاهية .. واولها

يا ابن العلاء ويا ابن القوم دراسه انى اتيناك فى صحبى وجلاسى

قد قلت انّ ابا حفصٍ لاكرمُ من ... يمشي تخاصمني في ذاك افلاسي
حتى اذا قيل ما اعطاكَ من صَفَدٍ ... طأطأتُ من سوءِ حالي عندها راسي
ولا بي الهول

كاني اذ مدحتُكَ يا ابنَ معنٍ ... رأى الناسُ في رمضان اذني
فان اكُ رُحتُ عنكَ بغير شيءٍ ... فلا تفرحْ كذلكَ كان ظني

وقال اخر

لحا الله قومًا اعجبتهم مدائحي ... فقالوا مقالًا في ملامٍ وفي عَتْبِ
ابا حازمٍ تمدحْ فقلتُ معذّرًا ... هَبوني امرأً جرّبتُ سيفي في كَلْبِ

وقال اخر

عُثمانُ يعلمُ انّ الحمدَ ذو ثمنٍ ... لكنّهُ يشتهي حمدًا بمجّانِ
والنّاسُ اكيسُ من ان يمدحوا رجلًا ... حتى يَرَوا عندهُ آثارَ احسانِ

وقال اخر

يُحِبُّ المديحَ ابو خالدٍ ... ويَغضَبُ من صِلةِ المادحِ
كبكرٍ تُحِبُّ لذيذَ النكاحِ ... وتجزعُ من صَولةِ النّاكحِ

وقال اخر

ولو كان يستغني عن الشكر سيّدٌ ... لعزّةِ مُلكٍ او علوِّ مكانِ
لما امرَ الله العبادَ بشكرهِ ... فقال اشكروني ايها الثقلانِ

محاسن الصّدق

قال بعض الحكماء عليك بالصدق فما السّيف القاطع فى كف الرجل الشجاع باعز من الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل وان كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب اتهم فى الصدق + وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور + وقال ابن السماك ما احسبنى اوجر على ترك الكذب لانى اتركه انفة + وقال آخر لو لم يزجر العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار + وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومُدح قوم بالصدق منهم ابوذر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة اصدق من ابى ذر + ومنهم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روى انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يامرك ان تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه

عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فاخبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت اخبرتك مما به تبسمت
وان شئت ان تقول فقل قال بل تعلمني يا رسول الله فقال لانك
لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا.
قال والذي بعثك بالحق نبيًا ما تبسمت الا لذلك ويروى ان رجلًا
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني استسر بخلال الزنا
والسرقة وشرب الخمر والكذب فايهن احببت تركته قال دع الكذب
فمضى الرجل فهم بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان جحدت نقضت ما جعلته له وان اقررت حُددت فلم يزن
فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن اجمع. فاما من رخص له في الكذب
فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلح الكذب الا
في ثلاث كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب في اصلاح ما بين الناس
وكذب في حرب. وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال لم يرخص
لاحد في الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول
الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فاذن لي يا رسول الله ان
اكذب عليك كذبة لعلي استلّ وديعتي فرخّص له في ذلك فقدم

مكة فاخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيرا في ايديهم
يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى
قومه فتكون منّة فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العبّاس
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل واخذ
الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي اخبرت به
قاعلمه السبب ثم اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح
خيبر ونكح صفية بنت حيي بن اخطب وقتل زوجها وابا ها ثم قال
اكتم علىّ اليوم وغدا حتى امضي ففعل ذلك فلما مضى يومان اخبرهم
العباس بالذي اخبره فقالوا من اخبرك بهذا قال من اخبركم بضدّه

ضده

قيل وجد في بعض كتب الهند ليس للكذوب مروءة ولا للضجور
رياسة ولا للملول وفاء ولا للبخيل صديق وقال فتيبة بن مسلم لا تطلبنّ
الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت
قريبة ولا الى رجل قد جعل المسئلة ماكلة فانه يقدم حاجته قبلها
ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى احمق فانه يريد نفعك فيضرك و
قيل امران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار و
قيل كفاك موبخا على الكذب علمك بانك كاذب وقال رجل لابي حنيفة

ما كذبت قط قال اما هذه فواحدة . وفى المثل هو اكذب من الحيز السند وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك وكذلك يقال اكذب من سياح خراسان لانهم يجتازون فى كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة . ويقال هو اكذب من الشيخ الغريب . وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن اربعين ويقال هو اكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل ومما قيل فى ذلك من الشعر

حَسْبُ الكذوبِ من البَلِيَّةِ بعض ما يحكى عليه

ما ان سَمِعتُ بِكِذْبَةٍ ... مِن غيرِه نُسِبَتْ اليه

وقال آخر

لقد آخْلَفْتَنى وحَلَفْتَ حتى ... اخالُكَ قد كَذَبْتَ وان صَدَقتا

الا لا تَحلِفَنَّ على كَلامٍ ... فاكذَبُ ما تكونُ اذا حَلَفْتا

وقال آخر

قد كنتُ أنجِزُ دهرًا ما وَعَدْتُ الى ... ان آتلفَ الوعدَ ما جمعتُ من نَشَبِ

فان أكُن صِرتُ فى عُدْمى اخا كَذِبٍ ... فَنَصْرَةُ الصِّدْقِ أفضَتْ بى الى الكَذِبِ

قال الاصمعى . قال الخليل بن سهل يا ابا سعيد اعلمت ان طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حداد مصمت فى غلظ انراقون فقلت لهنا اعرابى له معرفة اذهب بنا اليه فلعله يعرف هذا فذهبت به

الى الاعرابى فحدثه فقال الاعرابى قد سمعت بذلك وبلغنا ان ستم
هذا كان هو واسفنديار اتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما
وراسه فى حجر امه فقالت لهما ما شانكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل
فانتبناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فالقاهما الى اصبهان فقبرهما
اليوم بها. فقال الخليل قبحك الله ما اكذبك. قال يا ابن اخى ما بيّنا
شيئًا الا وهو دون الراقود. + قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا
قومًا الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم نحن كما قال
الله عز وجل (سماعون للكذب اكالون للسحت) + قيل وكان رجال
من اهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر ياتون بغداد فيرجعون
بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن
عنده شئ من الادب لو اتيت العراق فلعلك ان تصيب شيئا قال
انتم اصحاب اداب تلتمسون بها فقالوا نحن نحتال لك فاخرجوه
فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى بن يقطين وشكا اليه الحاجة
فقال ما عندك من الادب فقال ليس عندى من الادب شئ غير
انى اكذب الكذبة واخيل الى من يسمعها انى صادق وكان ظريفًا
مليحًا فاعجب به وعرض عليه مالا فابى ان يقبله وقال ما اريد صلتك
الا ان تسهل اذنى وتدنى مجلسى قال ذلك لك وكان من اقرب الناس

اليه مجلسًا حتى عرف بذلك. وكان المهدى قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الى على بن يقطين رجاء ان يكلم له المهدى وكان يرى قرب المدينى ومكانه من على فاتى المدينى القائد عشيًا فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال رسلنى على بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قد كلمت امير المؤمنين فى امرك ورضى عنك وامر برد مالك وضياعك، يامرك بالغدو اليه لتغدو معه الى امير المؤمنين متشكرا فدعا له الرجل بالف دينار وكسوة وحملان وغدا على على مع جماعة من وجوه العسكر متشكرا فقال له على وماذاك قال اخبرنى ابو فلان. وهو الى جنبه - كلامك امير المؤمنين فى امرى ورضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال له هذا فقال اصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك على وقال على بدابتى وركب الى المهدى وحدثه الحديث فضحك المهدى وقال انا قد رضينا عن الرجل وردد نا عليه ماله واجرى على المدينى رزقا واسعًا واستوصى به خيرًا ثم وصله وكان يعرف بكنية اب امير المؤمنين -

محاسن العفو

قيل اسر مصعب بن الزبير رجلا من اصحاب المختار فامر بضرب

عنقه فقال ايها الامير ما اقبح بك ان اقوم يوم القيامة الى صورتك
هذه الحسنة فاتعلق باطرافك واقول رب سل مصعبا فيم قتلني
فقال طلقوه فقال ايها الامير اجعل ما وهبت لي من عمري في خفض
عيش فقال اعطوه مائة الف درهم قال بابي انت وامي اشهدك
ان لابن قيس الرقيات منها خمسين الفا قال لِمَ قال لقوله فيك

انما مُصْعَبٌ شِهَابٌ من اللّٰـه تجلّت عن وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَافَةٍ لَيْسَ فيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا له كِبْرِيَاءُ

فضحك مصعب وقال لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة
وامر له بالمائة الف ولابن قيس الرقيات بخمسين الف درهم *
قيل وامر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه
ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل
به عرض له بان تكلمني وتسألني اطلاقه فقال له الموكل ذلك
فقال قل لامير المؤمنين ان كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من
محنتي والامر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشيا
عليه ثم افاق وامر باطلاقه * وقيل ظفر المامون برجل كان يطلبه
فلما دخل عليه قال يا عدو الله انت الذي تفسد في الارض بغير
الحق يا غلام خذه اليك فاسقه كأس المنية فقال يا امير المؤمنين

ان رأيت ان تبقيني حتى اؤيدك بمال قال لا سبيل الى ذلك فقال يا
امير المؤمنين فدعني انشدك ابياتا قال هات فانشده

زعموا ان البازَ علّقَ مرّةً ... عُصفورَ برٍّ ساقَهُ المقدورُ
فتكلّم العصفورُ تحتَ جناحِهِ ... والبازُ منقضٌّ عليه يطيرُ
ما بي لما يُعنيكَ منّاكَ شبعةٌ ... ولئن أكلتُ فإنني لحقيرُ
فتبسّمَ البازُ المدلُّ بنفسِهِ ... كرمًا واطلقَ ذلك العصفورُ

فقال له المامون احسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية
بقيت من عقلك فاطلقه وخلع عليه وحمله * وعن بعضهم ان واليًا
اتى برجل جنى جناية فامر بضربه فلما مُدّ قال بحق راس امك
الا ما عفوت عني قال وجع فقال بحق خديها ونحرها قال اضرب
قال بحق ثدييها قال اضرب قال بحق سرتها قال ويلكم دعوه
لا يحد رقليلا * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الرجل اذا ظلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى
السماء ودعا قال الله لبيك عبدي انصرك عاجلا او اجلا * وقال
صلى الله عليه وسلم في قولهم انصر اخاك ظالمًا او مظلومًا وقد
سئل ذلك فقيل انصره مظلومًا فكيف انصره ظالمًا فقال تمنعه
من الظلم فذلك نصرك اياه * وقال فضيل بن عياض بكى ابي

فقلت ما يبكيك فقال ابكي على ظالمي ومن اخذ مالي ارحمه غدا اذا وقفت بين يدي الله عز وجل وسأله فلا تكون له حجة وقال الحسن البصري ايها المتصدق على السائل يرحمه ارحم اولا من ظلمت وروى عن عبد الله بن سلام قال قرأت في بعض الكتب قال الله عز وجل اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني + قال خالد بن صفوان اياكم ومجانبة الضعفاء - يعني الدعاء -

ضحكه

قيل لما قالت التغلبية للحجاج بن حكيم السلمي في قعته بالبصرة فوصل الله عمادك واطال سهادك واقل رقادك والله ان قتلت الا نساء اسافلهن دمي واعاليهن ثدي فقال لمن حوله لولا ان ثدي مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصري فقال ما الحجاج فجذوة من نار جهنم + قال ولما بنى زياد بناءا البصرة امر اصحابه ان يسمعوا من افواه الناس فاتى برجل تلا اية (اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) قال وما دعاك الى هذا قال اية من كتاب الله عز وجل خطرت على بالي فقلتها قال والله لا اعلمن فيك بالاية الثانية (واذا بطشتم بطشتم جبارين) ثم امر به فبني عليه ركن من اركان القصر + قال وبعث زياد الى الجل

من بني تميم فقال اخبروني بصلحاء كل ناحية فاخبروه فاختار منهم
رجالا فضمنهم الطريق وقال لوضاع بيني وبين خراسان حبل
لعلمت من لقطه وكان يدفن الناس احياءً وينزع اضلاع اللصوص
قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسيرفي الناس قال انظر الى
عجوز ادركت زيادا فاسئلها عن سيرته فاعمل بها فاخذوا الله
بسنته حتى ما ترك منها شيئاً * وذكروا ان الحجاج لما اتى المدينة
ارسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا افعل قال فجاء الحجاج
بالسيف والسوط فقال والله لاضربنك بهذا السوط حتى اقطعه
ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تيرد وتاتيني بهما فقال الناس
يا ابا محمد لا تعرض لهذا الجبار فقال فجاء الحسن بسيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج
فارسل الحجاج الى رجل من بني ابي رافع مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نعم فخلطه بين اسياقه ثم قال اخرجه ثم جاء
بالدرع فنظر اليها ثم قال هنالك علامة كانت على الفضل بن العباس
يوم الابواء فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع

على ما قال فقال الحجاج اما والله لولم تجئني به وجئت بغيره لضربت به راسك ، وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه اعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما اصبح اتاه بثلاثة فقال اصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنادى ان لا يخرج احد بالليل قال اصلح الله الامير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا اعقل ففكر ساعة ثم قال سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال اصلح الله الامير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت ففكر الحجاج ساعة فقال رجل محب المسالمة خلوا عنه ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال لي والدة عجوز وانا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ما ذقت الى هذا الوقت طعاما وانا ذواقة فخرجت التمس لها ذلك فاخذني العسس ففكر ساعة ثم قال يا غلام اضرب عنقه فاذا راسه بين رجليه

محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل في الحبل كان فيه عطبه

ومن اكل بلا مقدار تلفت نفسه * قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس فقال يخاطبه ـ

اِصبِرْ لها صَبرَ اقوامٍ نُفوسُهُمُ ... لا تَستَرِيحُ الى عقلٍ ولا قَوَدِ

فقال الافشين من صحب الزمان لم ينج من خيره او شره و وجد الكرامة والهوان ثم قال ـ

لم يَنْجُ مِن خيرِها او شرِّها احدٌ ... فاذكُرْ شوائبَها إن كُنتَ مِن أحَدِ

خاضَتْ بك المُنيَةَ الحَمقاءُ غَمرَتَها ... فتِلكَ اعواجُها تَرمِيكَ بالزَّبَدِ

ولعلي بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالتْ حُبِستَ فقُلتُ ليسَ بضائرِي ... حَبسِي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ

اوَما رأيتِ اللَّيثَ يألفُ غيلَهُ ... كبرًا واوباشَ السِّباعِ تَرَدَّدُ

والنَّارُ في احجارِها مَخبُوءَةٌ ... لا تُصطَلى ان لم تَثِرْها الازنَدُ

والبدرُ يدركُه الظَّلامُ فتنجلي ... ايامُه وكأنَّه مُتجدِّدُ

والرَّاعبيَّةُ لا يُقيمُ كعُوبَها ... الا الثِّقافُ وجِذوَةٌ تَتوَقَّدُ

غيرُ الليالي بادِناتٌ عُسَّقٌ ... والمالُ عارِيَةٌ يُفادُ ويَنفَدُ

لا يُؤيِسَنَّكَ من تفرُّجِ كُربَةٍ ... خَطْبٌ اتاكَ بهِ الزَّمانُ الانكَدُ

فلِكلِّ حالٍ مُعقِبٌ ولرُبَّما ... أجلى لكَ المكروهُ عمَّا تَحمَدُ

كم مِن عليلٍ قد تخطَّاهُ الرَّدى ... فنجا وماتَ طبيبُهُ والعُوَّدُ

صبرًا فإنّ اليومَ يعقُبُه غدٌ ... ويدُ الخلافةِ لا تُطاوِلُها يدُ

والحبسُ ما لم تغشَه لِدَنيّةٍ ... شنعاءُ نعمَ المنزلُ المُتورَّدُ

لو لم تكُنْ في الحبسِ إلا أنه ... لا يستَذِلُّك بالحِجابِ الأعبُدُ

بيتٌ يُجدِّدُ للكريمِ كرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يَزُورُ يحمَدُ

ابلغ اميرَ المؤمنينَ ودُونَه ... خوفُ العِدا ومخاوفٌ لا تنفَدُ

انتم بنو عمِّ النبيِّ محمّدٍ ... اولى بما شرعَ النبيُّ محمّدُ

ما كانَ مِن حُسنٍ فأنتُم اهلُهُ ... كَرُمتْ مَغارِسُكم وطابَ المَحتِدُ

آمِن السَّويّةِ يا ابنَ عمِّ محمّدٍ ... خَصمٌ تُقرِّبُه وآخرُ يُبعَدُ

يا احمدَ بنَ ابي دُؤادٍ انما ... تُدعى لكلِّ كريهةٍ يا احمدُ

إنّ الذينَ سعَوْا اليكَ بباطلٍ ... أعداءُ نِعمَتِكَ التي لا تُجحَدُ

شَهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكّموا ... فينا وليس كغائبٍ مَن يَشهَدُ

لو يجمَعُ الخصماءَ عندكَ مَنزِلٌ ... يومًا لبانَ لكَ الطريقُ الأرشَدُ

والشمسُ لولا انها محجوبةٌ ... عن ناظريكَ لَمَا اضاءَ الفَرقَدُ

قصيدة

انشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف قوله

قالت حُبِستَ فقلتُ خطبٌ إنكدٌ ... أعيى عليَّ به الزمانُ المُرصِدُ

لوكنتُ حُرًّا كان سَرْبِي مُطْلَقًا ... ما كنتُ أحبسُ عَنْوَةً واقيَّدُ
لوكنتُ كالسيفِ المُهنَّدِ لم يكُن ... وَقتَ الكريهةِ والشدائدِ يُغْمَدُ
لوكنتُ كاللَّيثِ الهَصُورِ لمارَعَتْ ... فِي الدِّئابُ وجَذْوتي تتوقَّدُ
مَن قال انّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ ... فمُكابِرٌ في قوله مُتعنِّدُ
ما الحبسُ إلا بيتُ كلِّ مهانةٍ ... ومَذَلّةٍ ومكارهٍ لا تنفَدُ
إن زارَني فيهِ العدُوُّ فشامِتٌ ... يُبدِي التوجُّعَ تارةً ويُفنِّدُ
اوزارَني فيهِ المُحِبُّ فمُوجَعٌ ... يُذرِي الدُّموعَ بزفرةٍ تتردَّدُ
يكفيكَ إنَّ الحبسَ بيتٌ لا يرى ... احدٌ عليهِ من الخلائقِ يحسدُ
تمضِي اللّيالي لا أذوقُ لرقدةٍ ... طعمًا وكيفَ يذوقُ من لا يرقدُ
في مطبقٍ فيهِ النهارُ مشاكلٌ ... لليلِ والظلماتُ فيهِ سرمدُ
فَالى متى هذا الشقاءُ موكَّدٌ ... والى متى هذا البلاءُ مجدِّدُ
مَالي مجيرٌ غيرَ سيِّدِيَ الذي ... ما زالَ يكفلُني فنعمَ السيِّدُ
غَذيتُ حُشاشةَ مهجتي بنوافلٍ ... من سيبهِ وصنائعٍ لا تجحدُ
عِشرينَ حولًا عِشتُ تحتَ جناحهِ ... عيشَ المُلوكِ وحالتي تتزيَّدُ
فخلا العدُوُّ بموضعي من قلبهِ ... فحشاهُ جمرًا نارُهُ تتوقَّدُ
فاغفِرْ لعبدٍ ذَنبُهُ مُتطوِّلًا ... فالحقدُ منكَ سجيَّةٌ لا تُعهَدُ
واذكُرْ خصائصَ خِدمتي مقاوِمًا ... ايامَ كنتُ جميعَ امرِي تتحمَّدُ

١٥٧١٢

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم

خَرَجْنا مِنَ الدُّنيا ونحن من اهلها ... فلسنا مِنَ الاموات فيها ولا الاحيا
اذا دخل السَّجّانُ يوماً لحاجةٍ ... عَجِبْنا وقُلْنا جاء هذا من الدّنيا
ونفرحُ بالرُّؤيا فجُلُّ حديثِنا ... اذا نحن اصبحنا الحديثُ عنِ الرُّؤيا
فانْ حَسُنَتْ كانتْ بطيباً مجيئها ... وان قَبُحَتْ لم تَنْتَظِرْ والتِ سعيا

وقال آخر

الا احدٌ يدعو لاهلِ محلّةٍ ... مُقيمينَ ذلّ الدُّنيا وتفارقوا الدُّنيا
كانّهم لم يعمروا غير دارهم ... ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وقال ابن المعتز

تعلّمتُ في السّجنِ نَسْجَ التِّككْ ... وكنتُ امرأً قبلَ حبسي مَلِكْ
وقيّدْتُ بعدَ ركوبِ الجيادِ ... وما ذاكَ الا بدورِ الفلكْ
الم تُبْصِرِ الطّيرَ في جَوِّها ... تكادُ تلاصِقُ ذاتَ الحُبُكْ
اذا ابصرتْهُ خُطوبُ الزّمانِ ... اوقعْنَهُ في حِبالِ الشركْ
فهذاكَ مِن حالقٍ قد يُصادُ ... ومِن قَعْرِ بحرٍ يُصادُ السّمكْ

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

يا نفسُ صبرًا لعلّ الخيرَ عقباكِ ... خانتْكِ بعدَ طوالِ الامنِ دنياكِ

سَرَّت بنا سَحَرًا طيرٌ فقلتُ لها ... طوبالِيْ يالیتنی اَیّالِكِ طُوبالِكِ

وقال اعرابی

وَلَمَّا دَخَلتُ السِّجنَ كبَّرَ اهلُهُ ... وقالوا ابولیلَی الغَدَاةَ حَزِینُ

وفی البابِ مَكتُوبٌ علی صَفحاتِهِ ... بانَّكَ تَنزُ وثُمَّ سَوفَ تَلِینُ

وفی الحدیث المرفوع ان یوسف علیه السّلام شكا الی الله تعالی طول الحبس فاوحی الیه انت حبست نفسك حین قلت (رَبِّ السِّجنُ اَحَبُّ اِلَیَّ مِمَّا یَدعُونَنِی اِلَیهِ) ولو قلت العافیة احب الیّ لعوفیت. قال وكتب یوسف علیه السلام علی باب السجن هذه منازل البلوی وقبور الاحیاء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء۔

محاسن المودة

قال بعض الحكماء. لیس للانسان نعم الابموادات الاخوان. و قال اخو الاذیاد من الاخوان زیادة فی الاجال وتوفیر لحسن الحال. وقیل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا الیكم وان متم بكوا علیكم. وقال

قد یَمكُثُ النّاسُ حِینًا لیسَ بَینَهُم ... ودفیزَرَعُهُ التسلیمُ واللُّطفُ

یَسلَی الشقیقین طُولُ النّای بَینَهُما ... وتَلتَقی شُعَبٌ شَتّی فتَأتَلِفُ

وقال علی بن ابی طالب رضی الله عنه وارضاه لابنه الحسین ابذل لصدیقك كُلّ المودة ولا تطمئن الیه كل الطمانینة واعطه

كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار وقال العباس بن جرير المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وانس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره اياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه وكان يقال اعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان وقال الشاعر فى مثله

لَعَمْرُكَ ما مالُ الفَتى بذَخيرَةٍ ولكنَّ اخوانَ الثِّقاتِ الذَّخائرُ

ضدّه

قال المامون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احيانًا وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه وكتب بعض الكتاب ان فلانًا اولانى جميلًا من البشر مقرونًا بلطيف من الكتاب فى بسطه وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة اعجبك حسنه ما دام مطبقًا فلما فتح اذا كل نتنه فلا ابعد الله غيره ومما قيل فى ذلك -

والله لو كرهت كفّى منادمتى لقُلتُ للكفّ بينى اذكرِهتينى

وقال اخر

ولو انى ثنيا لفنى شمالى ... لما اتبعتها ابدا يمينى
اذا لقطعتها ولقلت بينى ... كذالك اجتوى من يجتوينى

وقال اخر

من لم يردك فلا ترده ... ليكن كمن لم تستفده
باعدا خالك بعده ... فاذا نأى شبرا فرده

وقال اخر

تودك عدوى ثم تزعم اننى ... اودك ان الرأى منا لمازب
وليس اخى من ودنى رأى عينه ... ولكن اخى من ودنى وهو غائب

وقال اخر

ان اختيارك لا عن خبرة سلفت ... الا الرجاء وما يخطى النظر
كالمستغيث ببطن السيل يحسبه ... حرزا يباديره اذ بله المطر

وقال اخر

وصاحب كان لى كنت له ... اشفق من والد على ولد
وكان لى مؤنسا وكنت له ... ليست بنا وحشة الى احد
كنا كساقى مشت بها قدم ... او كيد راع نيطت الى عضد
حتى اذا امكن الحوادث من ... حظى وحل الزمان من عقدى

إزورّ عني وكان ينظر من عيني ويرمي بساعدي ويدي
حتى اذا استرفدت يدي يدَهُ كنتُ كمسترفدٍ يدَ الاسدِ

وقال آخر

يا عجبًا لمن ربّيتُ طفلًا ألقمُهُ باطراف البنانِ
أعلّمُهُ الرّماية كلّ يومٍ فلمّا استدّ ساعدُهُ رماني
أعلّمُهُ الفتوّة كلّ حينٍ فلمّا طرّ شاربُهُ جفاني
أعلّمُهُ الرّواية كلّ وقتٍ فلمّا صار شاعرها هجاني

محاسن الولايات

سئل عمار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال هي حلوة الرضاع مرة الفطام وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وفد وفد من اهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال يا امير المؤمنين من انا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن انت قال عبد الملك بن مروان قال افجهلتنا او تغيرت بعدنا قال وما ذاك قال ولبث علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على ان نثني عليه بغير الحق والله لئن اعدته علينا لنعصينك

وان قاتلتنا وغلبتنا واسأت الينا قطعت ارحامنا ولئن قويت علينا
لنغصبنك ملكك فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن
من هذا شيئًا قال فقام الى منزله واصبح الحجاج غاديًا الى عيسى بن
طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك يا امير المؤمنين خيرا فقد ابدلني
بكم خيرا وابدلكم بي غيري وولاني العراق وعن معمر بن وهيب
قال كان عبد الملك عندما استعفى اهل العراق من الحجاج قال لهم
اختاروا اي هذين شئتم - يعني اخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله
ابن عبد الملك مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج يا امير المؤمنين
ان اهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص
فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه فقال صدق ورب
الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

ضده

كتب عبد الصمد بن المعذل الى صديق له يلومه على التفاطات
فاظهر تيهًا -

لَعَمْرِي لَقَدْ اظْهَرْتَ تِيهًا كَأَنَّمَا ... تَوَلَّيْتَ لِلْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ عُكْبَرَا
دَعِ الْكِبْرَ وَاسْتَبْقِ التَّوَاضُعَ اِنَّهُ ... قَبِيحٌ بِوَالِي النُّقْطِ اِنْ يَتَغَيَّرَا
لِحِفْظِ عُيُونِ النُّقْطِ احْدَثْتَ نَخْوَةً ... فَكَيْفَ بِهِ لَوْ كَانَ مِسْكًا وَعَنْبَرَا

وقال ابن المعتز

كم تائهٍ بولايةٍ ... وبعزله يعدو البريدُ
سُكرُ الولايةِ طيّبٌ ... وخمارُهُ صعبٌ شديدُ

وقال لبيد

لا تفرحنّ فكلُّ والٍ يُعزلُ ... وكما عُزلتَ فعن قريبٍ تُقتلُ
وكذا الزمانُ بما يسرُّكَ تارةً ... وبما يسوءُكَ تارةً يتنقّلُ

محاسن الصحبة

قيل قال علقمة بن ليث لابنه يا بنيّ ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من ان صحبته زانك وان تخففت لصانك وان نزلت بك مؤونة مانك وان قلت صدّق قولك وان صلت شدّد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك تفضل مدّها وان رأى منك حسنة عدّها وان بدلت منك ثلمة سدّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وقال اخر اصحب من خوّلك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه وكان يقال من قبل صلتك فقد رأعك مروءته واذلّ لقدرك عزه وقال بعضهم لصاحبه اذا اطوع لك من اليد واذل من النعل وقالى بعضهم اذا رأيت كلبا تارك صاحبه وتبعك

فارجه فانه تاركك كما تركك صاحبه وقال ابن ابى داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات ما خبرك مع صاحبك فقال لا يقصر فى الاحسان الى فقال يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك.

ضده

قيل كان يوسف بن عمر الثقفى يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموما فى عمله فخبر فى المدائنى قال وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب اهلها مائة قيل وخطب فى مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال يا اهل الكوفة الم انهكم ان تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملا له يا فاسق خربت ثغرا فنقدق قال انى لم اكن عليها انما كنت على ماة دينار وعمرت البلاد فاعاد ذلك عليه مرارا فقال همام قد اخبرتك انى كنت على ماة دينار وتقول خربت ثغرا فنقدق فامر بزلى يعذبه حتى مات قال وقال لكاتبه وقد حبس جبن ديوانه يوما ما حبسك قال شتكيت ضرسى قال تشتكى ضرسك وتقعد عن الديوان ردعا الحجام وامره ان يقلع ضرسين من اضراسه وعن المدائنى قال حدثنى رضيع كان ليوسف ابن عمر من بنى عبس قال كنت لا احجب عنه وعن خدمته

فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بمخصي له يقال له حديج فقرب
اليه واحدة فقال لها انى اريد الشخوص فاخلفك او اشخصك معى
فقالت صحبة الامير احبُّ الى ولكنى احسب ان مقامى وتخلفى اعفى
واخفّ على قلبه فقال احببت التخلف للفجور يا حديج اضرب فضربها
حتى اوجعها ثم امره ان ياتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبتها
فقال لها انى اريد الشخوص افأخلفك ام اخرجك فقالت ما اعدلك
بصحبة الامير شيئاً بل تخرجنى قال احببت الجماع ما تريدين ان
يفوتك ليلة يا حديج اضرب فضربها حتى اوجعها ثم امره ان يأتيه
بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها انى اريد الشخوص
افاخلفك ام اخرجك قالت الامير اعلم لينظر اخف الامرين عليه
فليفعله قال اختارى لنفسك قالت ما عندى اختيار فليختر الامير
قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لى الا ان اختار لك او جعها يا حديج
فضربها حتى اوجعها قال الرجل فكانما اوجعنى من شدة غيظى عليه
فولت الجارية تتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله فى فراقك
ما تقر عين احد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول
يا حديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من امرك ان
تعلمنى يا غلام خذ السوط من يده فاوجع راسه فما زال يضربه

حتى اشتفى فتعرف من الغلام الآخر كوضع بيت قال الاموى قال يا عدو الله
تخرج حاصلى من بيت مالى من غير حساب اقتلوه فقتلوه

محاسن التطير

عن عكرمة قال كنا جلوسا عند ابن العباس رض ابن عم فطار غراب
يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر
والذى حضرنا من الشعر فى مثله لابى الشيص

ما فرق الاحباب بعد الله الا البين
والناس يلحون غرا ب البين لما حجلوا
زما على ظهر غرا ب البين تطوى الرحل
ولا اذا صاح غرا ب فى الدى يا دار تحملوا
وما غراب البين الا دنا فلة او بعجل

وقال آخر

آترحل ممن انت صب بمثله وتلحى غراب البين انك ظالمه
اقر فقد راب البين غير مفيق ولا يأتلى الا على الفصل يجسر

وقال آخر

سلم هذا فى الاصل مستدرك يوسف بن عمر معارضا من خبل الحجاج
وفى غير هذا الكتاب ١٢

غلط الذين رايتهم بجهالة ... يلعون كلهم غرابا ينعق
ما الذنب الا للعمال فانها ... مما يشتت شملهم ويفرق
ان الغراب بيمنه يدني النوى ... وتشتت الشمل لجميع الانيق

وقال اخر

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ... الا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب اقفال

ضده

حكى عن النعمان بن المنذر انه خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد العبادى فمر بأرم وهى المقبور فقال عدى ابيت اللعن اتدرى ما تقول هذه الارام قال لا قال انها تقول

ايها الركب المخفو ... ن على الارض تمرون
لكما كنتم فكنا ... وكما كنا تكونون

فقال اعدها فاعادها فترك صيده ورجع كئيبا وخرج معه مرة اخرى فوقف على ارام بظهر الحيرة فقال عدى ابيت اللعن اتدرى ما تقول هذه الارام قال لا قال انها تقول

رب كأس قد اناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم اضحوا اعصف الدهر بهم ... وكذاك الدهر حالا بعد حال

فانصرت وترك صيده قال ولما خرج خالد بن الوليد الى اهل
الردة انتهى الى حى من بنى تغلب فاغار عليهم وقتلهم وكان رجل منهم
جالسا على شراب له وهو يغنى بهذا البيت

الا عاذلى قبل جيش ابى بكر لعل منايانا قريب وما ندرى

فوقف عليه رجل من اصحاب خالد فضرب عنقه فاذا راسه
فى الجفنة التى كان يشرب منها وهذا كقولهم

اِنَّ البَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ

مما سمى الوفاء

قيل فى المثل اوفى من فُكيهة وهى امرأة من بنى قيس بن ثعلبة
كان من وفائها ان السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة
يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا اثر قدم على الماء فقالوا ان هذا
لاثر رجل ثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى
ولج قبة فكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها
فنادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها قال وكان سليك يقول
كانى اجد نشوزة شعراستها على ظهرى حين ادخلتنى تحت درعها وقال

لَعَمْرُ ابيك والانباءُ تَنْمِى لَنِعْمَ الجارُ اُختَ بنى عُوَارَا
مِنَ الخَفِرَاتِ لم تفضح ذراها ولم ترفع لوالدها شَنَارَا

عتيبة به فكبهه حين قامت ... فصل السيف فانتزعوا الخمارا

ويقال ابياد واوفى من ابجيل وهو من رهط ابن ابى ربيعة من
دوس وكان من وفاء ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى قتل
رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على عشيرة بن الخطاب
الدوسى فقتلوه فقال حفص دخل بيت ابجيل وعاذ بها فقامت فى
وجوههم ودعت قومها فمنعوه فلما ولى عمر بن الخطاب ظفت الى
المدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال انى لست
بخير الا ان لا اسلمك وما ذر وقد عرفنا منتك علينا واعطاها مائة
من ابله وقيل ان ابا موسى الاشعرى هو الذى حكم لسموءل بن عاديا وكان من وفائه ان
امرأ القيس بن حجر لما ادركه الموت توجه الى تيماء استودع سموءل ما معه
له فلما مات امرؤ القيس غزا ملك من ملوك الشام فحاز زمنه السموءل
فاخذ الملك ابنا له خارجا الحصن وصاح به يا سموءل هذا ابنك
فى يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمى وانا احق بميراثه منك
دفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك فقال اجلنى فاسمع
اهل بيته فشاوروهم فكلهم اشار بدفع الدروع الا ان بقيت ابنه
فلما اصبح تشاور عليه وقال ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع
ما انت صانع فغدر بالغلام ابنه وهو ينظر اليه وكان يقول ياتيماء انصرف

الملك وواناسمرأل بالدروع الموسمة فدفعها الى ربيبه امرئ القيس
وقال فى ذلك

وفيت بادرع الكندى ان اذا ما خان اقوام وفيت
وقالوا عندهُ كنزٌ رغيبٌ فقلنا ابيتُ اعزرهُ الشيبُ
بنى لى عادياً حصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقيتُ

وفى ذلك يقول الاعشى

كن كالسموءل اذ طاف الهُمامُ به فى جحفلٍ كسواد الليل جرارِ
بالابلق الفرد من تيماء منزلهُ حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدارِ
خيَّرهُ خُطتى خسفٍ فقال له قُم فاختر الموت او سبى ذرارينا
فقال ثُكلٌ وغدرٌ انت بينهما فاخترْ فما فيهما حظٌ لمختارِ
فشكَّ غير طويلٍ ثم قال له اقتل اسيرك انى مانعٌ جارى

ويقال اوفى من الحارث بن عباد وكان من وفائه انه اسر
عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلنى على عدى بن ربيعة
ولك الامان فقال انا امن ان دللتك عليه قال نعم قال فانا
عدى بن ربيعة فخلاه وفى ذلك يقول الشاعر

لهفَ نفسى على عديٍّ وقد شا رَفَهُ المرتُ واحتوتهُ المنونُ

ويقال هرم فى من سموءل بن عملم وكان من وفائه ان مرة بن

القرظ غلاما بكر بن وائل ففضواجيشه واسروه رجل منهم وهو لا يعرفه
فاتى به امه فقالت انك تختال باسيرك كانك جئت بمروان القرظ
فقال مروان وما ترجين من مروان قالت عظيم فدائه وقال وكم
ترجين من فدائه قالت: مائة بعير قال لك ذلك على ان ترديني
الى خماعة بنت عوف بن محلم قالت: ومن لي بالمائة فاخذ عودا
من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجاد
بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى
عوف ان يأتيه بمروان وطلب واجتهد عليه في شيء فقال عوف لرسوله
ان خماعة ابنتي قد اجارته . فقال ان الملك قد ابى ان يعفو
عنه او يضع كفه في كفه فقال عوف يفعل ذلك ان شاء الله بين
ايدينا . فاجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فادخله عليه
فوضع يده في يده ووضع يده بين ايديهما فعفى عنه . ومنهم
النطاق صاحب النعمان بن المنذر وكان من وفائه ان النعمان
ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه
احد في يوم بؤسه الا قتله ولا في يوم نعيمه الا احياه وحباه واعطاه
فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيئ فقال حيا الله الملك ان
لي صبية صغارا المراوص بهم حاسرا فان رأى الملك ان يأذن لي

فى اتيانهم واعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا اوصيت بهم حتى اضع يدى فى يده فرق له النعمان وقال له لا الا ان يضمنك رجل عمن معنا فان لم تأت قتلناه وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال

يا شريك بن عمرو ... هل من الموت محالة
يا اخا كل مضاف ... يا اخا من لا اخا له
يا اخا النعمان فك ... اليوم عن شيخ غلا له
ابن شيبان قبيل ... اصلح الله فعاله

فقال شريك هو على اصلح الله الملك فمضى الطائى واجل له اجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم احضر النعمان شريكا وجعل يقول له: ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول ليس لك على سبيل حتى نمسى فلما امسوا اقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال شريك ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلما صاحبى فبينما هما كذلك اذ اقبل الطائى فقال النعمان والله ما رأيت اكرم منكما وما ادرى ايكما اكرم اهذا الذى ضمنك ام هو الموت ثم انت وقد رجعت الى القتل والله لا تكون اكرم الناس ابدا واطلقه وامر برفع يوم بؤسه وانشد الطائى -

ولقد دعتني لبعلاتها نفسي فابيت عند تجهمي لاقوالي
اني امرؤ مني الوفاء خليقة ونعال كل مهذب بذال

فقال النعمان ما حملك على الوفاء قال ديني: قال وما دينك قال النصرانية قال عرضها علي فعرضها عليه فتنصر النعمان.

ضيده

قيل كتب صاحب بريد همذان الى المامون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسمها بينهما فوقع المامون انا نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله واجازه فانف الساعي عند ذلك وقال يا امير المومنين رضي الله عنك المعذر فان الساعي وان كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه اثما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يعف صاحبه قال: دخل رجل على سليمان ابن عبد الملك فقال يا امير المومنين عندي نصيحة قال ما نصيحتك هذه قال فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك الوليد فخانهما فيما تولاه فاقتطع اموالا كثيرة جليلة فهرب فاستخرجها منه قال انت شر منه واخون حيث اطلعت على سره واظهرته ولكاني

انذر النصاح معاقبتك ولكن اخترمني خصلة من ثلاث قال هن ما هن
يا امير المؤمنين قال ان شئت فحشتنا عما ذكرت فان كنت صادقا
صدقناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان استقلت قلنا لك فلصفح

محاسن السخاء

روى عن نافع قال لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس
لعنه الله فقال اخبرني باحب الناس اليك وابغضهم اليك قال
احبهم الى كل مؤمن بخيل وابغضهم الى كل منافق سخي قال فلم ذاك
قال لان السخاء خلق الله الاعظم فاحشم ان يطلع عليه فيغفر له
فيغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة
قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله عز وجل من عابد بخيل
وادوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم ما اشرقت شمس الا
وبجنبتها ملكان ينادي ان يسمعان الخلائق غير الجن والانس فيهما الثقلان
اللهم عجل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وما كان ينادي ان يا ايها الناس هلموا
الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وعن الشعبي قال قالت
ام البنين ابنة عبد العزيز اخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت
الوليد بن عبد الملك لو كان البخل قميصا ما لبسته طريقا ما سلكتها

وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت
تقول البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة وقيل اعتقت هند
بنت عبد المطلب في يوم واحد اربعين رقبة وقال بعض الحكماء
ثواب الجود خلف ومحبة ومكافاة وثواب البخل حرمان وتلاف
ومذمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله
عنه يا علي كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن حييا فان الله يحب
الحيي وكن سخيا وكن نيورا فان الله يحب الغيور يا علي وان انسانة مالت
ساعة تمس بها اهل فكن انت اهلا لها وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان في السماء شجرة في الجنة من اخذ منها بغصن مد به الى الجنة
وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في لومهم
الا سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما وقال صلى الله عليه وسلم
تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر وقال بعض
حكماء من احب ان يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر
الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة
من الغيث والريح كما وعدهما الله في الجنان فانه لولا ايضاء الجود
لبسطه نفسه وقال المؤيد ان الاجر لكثير لكنكم تمنون ان تتمموا ابا قابوس
بالمن وتقدحون عليه المكافاة قال كلا ولا نستحسن ذلك

الخواطر وعبيد نا فكيف ترى ذلك وفي كتاب دينا اسرى فضل معروفا خفيا
واظهر ويتطول به على نعمه عليه وتدبيره الذي ذخره واستوجب
ان لا نعده من الابرار ولا نذكره في الاتقياء والصالحين . قيل وسئل
الاسكندر ما اكبر ما شيدت به ملكك قال ابدا دي الى اصطناع
الرجال والاحسان اليهم . قال وكتب بطليموس الى رسالته
ان لا تسكنوا واعلموا ان الايام تاتي على كل شيء فتخلقه وتغلق آثاره
وقد بقيت الافعال الابرار صحيحة في قلوب الناس ناوع قلوبهم محبة ابدا
تبقى بها حسن ذكرك وبعيد فعالك وشرف مآثارك . قال ولما قدم
بزرجمهر الى القتل قيل له انك في آخر وقت من اوقات الدنيا واول
وقت من اوقات الآخرة فتكلم بكلام تتذكر به فقال اي شيء اقول
الكلام كثير ولكن ان امكنك ان تكون حديثا حسنا فافعل قيل و
تنازع رجلان احدهما من ابناء العجم والآخر اعرابي في الضيافة
فقال الاعرابي نحن اقوى الضيف قال فكيف ذاك قال لان احدنا
وهو الاعرابي اذا اتاه احد يريد ضيافته نحره فقال له العجمي
نحن احسن منك مذهبا فيما تعرض نكم قال وما ذاك قال نحن نسمي
الضيف مهمانا ومعناه انه اكبر من في المنزل واملكنا به . وقال
بعض الحكماء بلغ المجهود من قام بالجهود وقيل الجواد من لم يضن

بالموجود وقال المامون الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود
قيل وشكا رجل الى اياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس و
ينفق قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال
للرجل اغلق هذا الباب فاغلقه فقال هل تدخل فيه الريح قال لا
قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تختزق في البيت فقال هكذا الرزق
اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا امسكت لم يأتك الرزق . قيل
ووصل المامون محمد بن عباد المهلبي بمائة الف دينار ففرقها على
اخوانه فبلغ ذلك المامون فقال يا ابا عبد الله ان بيوت الاموال
لا تقوم بهذا فقال يا امير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن
بالمعبود . وعن امية بن يزيد الاسوى قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد
ابن معاوية فجاءه رجل من اهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال
له قولا ضعيفا فيه جمد وقلة اطماع فلما قام من عنده ومضى دعا
صاحب خزانته فقال اعطه اربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا كنت
ترد عليه رده اظننا انك تعطيه شيئا قليلا فاذا انت اعطيته اكثر
مما امل فقال اني احب ان يكون فعلي احسن من قولي . وبحاتم
يضرب المثل في السخاء نحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل كان
حاتم جوادا شاعرا وكان حيثما نزل عرف منزله وكان طفلا اذا قاتل

غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا سمع اطلق وكان اقسم ان لا يقتل واحد اسمه قيل ولما بلغ حاتما القول الملتمس الضبعي ـ

قليلُ المالِ تُصلِحُهُ فيبقى ... ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحِفظُ المالِ ايسرُ من بُغاهُ ... وضَربٍ في البلادِ بغيرِ زادِ

فقال ساله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل افلا كمال

فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فنائه ... ولا البُخلُ في مالِ الشحيحِ يزيدُ
فلا تَلتمِسْ درَّ قا بعيشٍ مقدّرٍ ... لكلِّ غلامٍ رزقُهُ بوجودِ بيدِ
الم تَرَ ان الرزقَ غادٍ ورائحٌ ... وانَّ الذي اعطاكَ سوفَ يعودُ

قيل ونزل على معاتر ضيف ولم يحضره القرى فخرج باتية الضيف وعشاه وغداه وقال انك قد اقرضتني ناقتك فاحتكم علي فقال راحلتين قال لك عشرون ان رضيت قال نعم وفوق الرضا قال لك اربعون ثم قال لمن يحضرته من قومه من اتاني باتية فله ناقتان بدل الغارة فاتوه باربعين فدفعها الى الضيف وحكم ان من سلكهم خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بارض مضرة ناوا السير فيهم يا ابا سفانة قد اكلتنا الاسار والقمل قال والله ما انا تركت بلادي ولا اهلي شيء وقد نسأت الى ان نوهت باسمي فقد صالى العنزيان

فساومهم فيه واشتراه منهم وقال خلوا عنه وانا اقيم مكانه فى قيده حتى اؤدى فداه ففعلوا فاتاهم بفداء. قيل ولما مات حاتم خرج رجل من بنى اسد يعرف بابى الخيبرى فى نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فاتاخوا بقبره فقال والله لاحلفن للعرب انى نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل. فجعل يضرب القبر برجله ويقول.

عَجِّلْ ابا سَفَّانَةٍ قِرَانَا ... فسوف انبى سائلى نِتَانَا

فقال بعضهم مالك تنادى رمة وباتوا امكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعورا فقال يا قوم عليكم مطايا كم فان حاتما اتانى فانتدب ابا الخيبرى وانت امرؤ ... نمتك عشيرة شتامها

فما ذا اردت الى رمة ... بدوية صيحت هامها

تبغى اذاها واعسارها ... وحولك طى والغامها

وانا لنمنع اضيافنا ... من الكوم بالسيف نعتامها

وقيل فى المثل هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد وبلغ من جودته انه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر بن قاسط فى شهر ناجر والجماهم العطش فضلوا واقتصافنوا ماءهم فجعل النمرى يثير نصيبه فاذا اراد ان يشرب نصيبه قال اذا خاك النمرى فيؤثره حتى انه ليراه العطش

فلما رأى ذلك استحث ناقته وباد رحتى رفعت له اعلام الماء وقيل له ردكعب فانك وزاد فمات قبل ان يرد وتجار فيقه من قبل ابى تمام

هوالبحرُ من اىِّ النّواحى اتيتَهُ ... فلجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهُ
كريمٌ اذا ما جئتَ للعُرفِ طالبًا ... حَباكَ بما تحوى عليهِ انامِلُهُ
فلو لم يكُن فى كفّهِ غيرُ نفسِهِ ... لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائلُهُ

وللبحترى

لوانّ كفّكَ لم تجُدْ لمؤمّلٍ ... لكفاهُ عاجلُ وجهكَ المتهلّلُ
ولوانّ مجدَكَ لم يكُن متقادمًا ... اغناكَ اخرُ سُؤدَدٍ عن اوّلِ

ولبكر بن النطاح فى ابى دلف

بطلٌ بصدرِ حُسامِهِ وسِنانِهِ ... اجلاّنِ من صدرٍ ومن ايرادِ
وَرِثَ المكارمَ وابتناها قاسمٌ ... بصفائحٍ واسنّةٍ وجيادِ
ياعصمةَ العَرَبِ التى لولم تكُنْ ... حيًّا اذا كانتْ بغيرِ عِمادِ
انّ العُيونَ اذا رأتكَ حَدَدْتَها ... رجعتْ من الاجلالِ غيرَ حِدادِ
واذا رميتَ الثّغرَ منكَ بعزمةٍ ... فتحتْ منهُ مواضعَ الاسدادِ
وكانّ رُمحَكَ منقعٌ فى عُصفُرٍ ... وكانّ سيفَكَ سُلّ من ورصادِ
لوصالَ من غضبٍ ابودلفٍ على ... بيضِ السُّيورِ لذُبْنَ فى الاغمادِ

اذرى ونوّر للعداوة والهوى نارين نار دمٍ ونار زنادِ

قال ابو هفان انشدت هذه الابيات على عبد العزيز بن ابي دلف بسر من راى فقال هل سمعت بمثل هذه الابيات قلت لا قال ولغيره فى ابي دلف

ولو يجوز لقال الناس كلهم ولا ابو دلف ما اوزق الشجر

قال ابن يحيى لندمائه دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال انشدني قول عمارة فى اهل بغداد فانشدته

من يشتري صفقي واهلك مختري ابيع حسنا وابني وشامي بدرهم

واعطي رجاء بعد ذاك زيادة واسيخ دينارا بفلس تندم

فان طلبوا سخل الزيادة زدتهم اباذين والمستطيل بن اكثم

فقال المتوكل ويلي على بن البوّال على عقبيه تجوب شقيت دولة العباس قال فهل عندك من المدح فى ابي دلف القاسم بن عيسى شيء قلت نعم يا امير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه

اباذلعنٍ ان السماحة لو تزل مغلّلة تشكو الى الله غلّها

فبشّر ما ربي بميلاد قاسمٍ فارسل جبريلا اليها فحلّها

وقال غيره

حرٌّ اذا جئته يوما لتسأله اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يُخفِي صنائعَهُ والله يُظهِرُها ... انَّ الجميلَ اذا اخفيتَهُ ظهرا

وقال اٰخر

فتىً عاهد الرَّحمٰنَ فى بذلِ مالِهِ ... فليس تراهُ الدهرَ الا على العهدِ
فتىً قصَّرتْ اموالُه عن فِعالِهِ ... وليسَ على الحرِّ الكريمِ سِوَى الجهدِ

وقال اٰخر

اذا ما اتاهُ السائلونَ توقَّدَتْ ... عليهِ مَصابيحُ الطَّلاقةِ والبِشرِ
له فى ذرى المعروفِ نُعمى كانها ... مواقعُ ماءِ المزنِ فى البَلَدِ القَفرِ

وقال اٰخر

عادَ السُّرورُ اليكَ فى الاعيادِ ... وسَعِدْتَ من دُنياكَ بالاسعادِ
رِفقًا بعبدٍ حلَّ ما ولَيتَهُ ... رِفقًا فقد اثقلتَهُ بايادِى
مَلأَ النُّفوسَ مَهابةً ومَحبَّةً ... بدرٌ بدا مُتغمِّرًا بسوادِ
ما ان ارى لكَ مُشبِهًا فيمَن ارى ... ان الكرامَ قليلةٌ الاَنداد

وقال فى ابن ابى داؤد

بدا حين ازرى باخوانِهِ ... فقلَّلَ عنهم شباةَ العدمْ
وحدَّدَهُ الحزمُ صرفَ الزمانِ ... فبادر قبل انتقالِ النِّعمْ
فليسَ وان بخِلَ الباخِلو ... نَ يقرعُ سِنَّاله من ندمْ
ولا ينكتُ الارضَ عند السُّؤالِ ... ليمنعَ سُؤّالَهُ عن نَعَمْ

ولكن يُرى مُشرِقًا وجهُهُ ليُرغِمَ في ماله من رُغِمْ

ويروى في الحديث انه لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد صالح ابدا ويقولون الشحيح اغدر من الظالم اقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل في جنته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عنه قال الشاعر في ذلك -

ليس في كل ساعةٍ واوانٍ تتهيأ صنائعُ الاحسانِ

فاذا امكنتْ نقدّمتُ فيها حذرًا من تعذّرِ الامكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ان امير المؤمنين عليًا رضي الله عنه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالًا فانطلق به الى منزله فوجد في الطريق صوفًا فاخذه ومرّ بقطعة كساء فاخذها فلما صار الى المنزل اعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطا ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط و صرّ فيها ثلاثين الف درهم فحملت معه قال واتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصاري رحمه الله يسألونه في حمالة فصاد فنوه في حائط له يتتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده ورديئه على حدة فهموا ان يرجعوا عنه وقالوا ما نظن عنده خيرا ثم كلموه فاعطاهم فقال رجل من القوم لقد رأيتك تصنع شيئًا لا يشبه فعالك فقال

وما ذاك فاخبروه فقال ان الذى رأيتم يؤول الى اجتماع ماينفع ينمو ومنها قيل الذود الى الذود ابل وانشد

رُبَّ كبيرٍ حاجَهُ صَغيرُ وفى البُحورِ تُغرَقُ البُحورُ

وقال اخر

قد يَلحَقُ الصّغيرُ بالجَليلِ وانما القَرمُ من الافيلِ
وسُحُقُ النَّخلِ مِنَ الفَسيلِ

قال واتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيرًا له فقال يا غلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال اردت ان انصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

مساوى البخل

المثل السائر فى البخل: هو ابخل من مادر وهو رجل من بنى هلال ابن عامر بلغ من بخله انه كان يستقى ابله فيبقى فى اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه فى مدر الحوض به فسمى مادرا وذكروا ان بنى هلال وبنى فزارة تنافروا الى انس بن مدرك وتراضوا به فقالت بنو هلال يا بنى فزارة اكلتم ايرا الحمار فقالت بنو فزارة لم نعرفه وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزارى وثعلبى وكلابى فصادوا حمار وحش ومضى الفزارى فى بعض حوائجه فطبخا واكلا وخبا للفزارى ايرا الحمار فلما رجع قالا قد خبأنا لك حقك فكل فاقبل يأكل

ولا يسيغه فجعلا يضحكان فغطن واخذ السيف وقام اليهما وقال لتاكلن منه اولا قتلنكما فامتنعا فضرب احدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه فقال فيهم الشاعر

نَشَدْتُكَ يا فَزَارِ وانتَ شَيْخٌ ... اذا خُيِّرْتَ تَخْطِئُ فى الخيارِ
اَصَيْحَانِيَّةٌ اُدِمَتْ بسَمْنٍ ... احبُّ اليكَ امْ ايرُ الحِمارِ
بلى ايرُ الحمارِ وخصيتاهُ ... احبّ الى فَزَارَةَ من فَزارِى

فقالت بنو فزارة منكم يا بنى هلال من سقى ابله فلمّا رويت سلح فى الحوض ومدره بخلا فنفرهم انس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها وفى بنى هلال يقول الشاعر

لقد جَلَّلَتْ خِزْيًا هلالُ بنُ عامرٍ ... بنى عامرٍ طُرًّا بسَلْحة مَادِرِ
فَاُفٍّ لكم لا تَذْكُرُوا الفَخْرَ بعدها ... بنى عامرٍ انتم شرارُ العَشائرِ

وفى المثل هو ابخل من ابى حُباحب وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا اراد احد ان ياخذ منه الطفاه فضرب به المثل ومنهم صاحب نجيح بن سلكة اليربوعى فانه ذكر ان نجيحًا اليربوعى خرج يومًا يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى اكمة فاذا هو برجل اعمى اسود قاعد فى اطمار بين يديه ذهب وفضة

ودرويا قوت قد نامنه فتناول بعضها ولم يستطع ان يحرك يده حتى القاه فقال يا هذا ما هذا الذى بين يديك وكيف يستطاع اخذه وهل هو لك ام لغيرك فانى اعجب مما ارى اجواد انت فتجود لنا ام بخيل فاعذرك فقال الاعمى لطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتنى به نعطك ما تشاء فانطلق نجيح مسرعا قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع راسه فنام لما به من الغم لا يدرى من سعد بن خشرم فاتاه آت فى منامه فقال له يا نجيح ان سعد بن خشرم فى حى بنى محلم من ولد ذهل ابن شيبان فسأل عن بنى محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليه السلام فقال له نجيح من انت قال انا خشرم بن شماس قال له فاين ولدك سعد قال خرج فى طلب نجيح اليربوعى وذلك ان آتيا اتاه فى منامه فحدثه ان مالا له فى نواحى بنى يربوع لا يعلم به الا نجيح اليربوعى فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول -

ايَطْلُبُنى مَنْ قد عَنانى طِلَابُهُ ... فيا لَيْتَنى الْقاكَ سَعدَ بنَ خَشْرَمَ

اتَيْتَ بنى يَرْبُوعَ تَبْغى لِقاءَنا ... وجِئْتُ لكَى الْقاكَ حَىَّ مُحَلِّمِ

فلما دنا من محلتها استقبله سعد فقال له نجيح ايها الراكب

هل لقيت سعدًا فى بنى يربوع قال انا اسعد فهل تدل على نجيح قال انا نجيح وحدثه بالحديث فقال الدال على الخير كفاعله وهو اول من قاها فانطلقا حتى اتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المال فاخذه سعد كله وقال نجيح يا سعد قاسمنى فقال له اطوعنى وعن مالى كشحًا وابى ان يعطيه شيئًا فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلًا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع فى اكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هاربًا الى قومه + قيل وكان ابو عبس بخيلًا وكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره باصبعه ثم يقول كم من مدينة قد دخلتها وبيد وقعت فيها فالان استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمى به فى صندوقه فيكون اخر العهد به + قيل ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شق لا اله الا الله وفى شق محمد رسول الله ما ينبغى ان تكون الا معاذة وقذفه فى صندوقه + وذكروا انه كان بالرى عامل على الخراج يقال له المسيب فاتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئًا ثم سعل سعلاة فضرط فقال الشاعر

اتيتُ المُسَيَّبَ فى حاجةٍ ... فما زالَ يَشغَلُ حتى ضَرَطْ
فقالَ غَلِطْنا حسابَ الخَراجِ ... فقلتُ من الضَّرطِ جاءَ الغَلَطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل قال و
كتب ارسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه ان كنت
اردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم
ترايد فيه فلا تقدر قال وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلا يقول من
يعشى الجائع فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال هيهات تخرج فتؤذي
الناس كما اذيتني ووضع رجله في الادهم حتى اصبح قال وكان رجل
ياتي ابن المقفع فيلح عليه وسأله ان يتغدى عنده ويقول لعلك
تظن اني اتكلف لك شيئا والله لا اقدم لك الا ما عندي فلما اتاه
لم يجد في بيته الا كسرا يابسة وملحا جريشا وجاء سائل الى الباب
فقال له وسع الله عليك فلم يذهب فقال والله لئن خرجت
اليك لادقن راسك فقال ابن المقفع للسائل ويحك لو عرفت
من صدق وعيده ما اعرفت من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم
طرفة عين قال وكتب ابراهيم بن سابة الى صديق له كثير المال
يستسلفه فكتب اليه العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب
عليه فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك صادقا وان كنت صادقا
فجعلك الله معذورا وكتب اخر الى اخر يصف رجلا اما بعد فانك
كتبت تسأل عن فلان كانك هممت به او حدثتك نفسك بالقدوم

اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله و
الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما
فى يده لا ينبغى الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذى
يرضى به التبذير الذى يعاقب عليه والاقتصاد الذى امر به الاسراف
الذى يعاقب عليه وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العدس و البصل
بالمن والسلوى الا لفضل اخلاقهم وقديم علمهم وان الصنيعة
مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة و
التوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين و
ان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من
احدى الكبائر وايم الله انه يقول ان الله لا يغفر ان يؤثر المرء
فى خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن اثر
على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا كانه لم يسمع بالمعروف الا فى
الجاهلية الذين قطع الله ادبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم
وان الرجفة لم تاخذ اهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا اهلكت
الريح عادا الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق
ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه خاسرا ويعدها الفقر
ويأمرها بالبخل خيفة ان تمر به قوارع الدهر وان يصيبه مالا صاب

القرون الاولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك
عسى الله ان يبدلنا وإياك خيرا منه زكاة واقرب رحما وبعض
الكتاب اما بعد فان كثيرا المواعيد من غير نجح عار على المطلوب
اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في
حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد
رضينا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل

لا تجعلنا كلمّوٍ بزرعةٍ ان فاتهُ الماء اروتهُ المواعيدُ

وكتب اخر ما رأيت مثل طيب قولك امرّه سوء فعلك ولا مثل
بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها
افراط مطلك ولا مثل انس سنا هبك اوحش منه اختبار عواقبك
حتى كان الدهر اودعك لطيف الحيلة بالمكر باهل الخلة وكانه
زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة * وقد قيل
وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل * وقال
بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب
وغررتنا غرور السراب ومنيتنا اماني الكمون * ولبعضهم امّا
بعد فلا تدعني مطلقا بوعدك فالعذر الجميل احسن من المطل
الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة

فاوضح واعلمنى ذلك لاصرف وجه الطلب الى غيرك ✦ وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ✦ الك امرأة قال لا ✦ قال فتزوج وعلى المهر ✦ فرجع الى امه فاخبرها الخبر فقالت

اذا حدّثتك النفس انك قادرٌ ... على ما حوت ايدى الرجال فكذّبِ

فتزوج واتى عمرو بن العاص فاعتلّ عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى امه فقالت

لا تغضبنّ على امرئ فى ماله ... وعلى كرائم حرّ مالك فاغضبِ

ووصف اعرابى رجلاً فقال له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه ابدا بين الطمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل مريح وقال اعرابى انا من فلان فى امانى تهبط العصم وخلف يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه واتعب راحلته اليه ✦ وذكر اعرابى رجلاً فقال له مواعيده عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ويقال سرعة اليأس احد النجحين وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلّب واماني الكمّون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة ومما قيل فى ذلك ـ

اُدُحْ واغدُ ونحوكم فى حوائجى ... فاُصبحُ فيها غدوةً كالذى اُمسى

وقد كنتُ ارجو للصديق شفاعتى ... فقد صرتُ ارضى ان اُشفّع فى نفسى

ولابى نواس

وعدتنى وعدك حتى اذا ... اطمعتنى فى كنز قارون

جئتَ من الليل بغسّالة ... تغسلُ ما قُلتَ بصابون

ولابى تمام

يحتاجُ من يرتجى نوالكم ... الى ثلاثٍ من غير تكذيبِ

كنوز قارون ان تكون له ... وعُمر نوح وصبر ايوبِ

وقال اخر

انى رايتُ من المكارمِ حسبكم ... ان تلبسوا خزّ الثيابِ وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

انى لاعجبُ من قولٍ غُرِرتَ به ... حُلوٍ يمدُّ اليه السمعُ والبصرُ

لو تسمعُ العُصمُ من صُمّ الجبالِ به ... ظلّت من الرّاسياتِ العصمُ تتحدرُ

كالخمرِ والشهدِ يجرى فوق ظاهرهِ ... وما لباطنهِ طعمٌ ولا خبرُ

وكالسّراب شبيهًا بالغديرِ وان ... تبغ السّرابَ فلا عينٌ ولا اثرُ

لا ينبتُ العُشبُ عن برقٍ وراعدةٍ ... غرّاءَ ليس لها سيلٌ ولا مطرُ

وقال اخر

رأيتُ اباعثمانَ يبذُلُ عِرضَهُ ... وخبزُ ابى عثمانَ فى احرزِ الحرزِ
يحِنُّ الى جاراتِهِ بعدَ شبعِهِ ... وجاراتُهُ غرثى تحِنُّ الى الخُبزِ

وقال اٰخر

ما كنتُ احسبُ انّ الخبزَ فاكهةٌ ... حتى نزلتُ على اوفى بنِ منصورِ
الحابسِ الرّوثَ فى اعفاجِ بغلتِهِ ... خوفًا على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ

وقال اٰخر

نوالُكَ دونَهُ خرطُ القتادِ ... وخبزُكَ كالثُّريّا فى البعادِ
ترى الاصلاحَ صومًا لا تُسِكُّ ... وكسرُ الخبزِ من عملِ الفسادِ
ارى عُمرَ الرّغيفِ يطولُ جدًّا ... لديكَ كأنّهُ من قومِ عادِ

وقال اٰخر

اللؤمُ منكَ على الطعامِ طباعُ ... فعيالُ بيتِكَ ما حييتَ جياعُ
واذا يمرُّ ببابِ دارِكَ سائلٌ ... حملتْ عليهِ نوابحٌ وسباعُ
وعلى رغيفِكَ حيّةٌ مسمومةٌ ... وعلى خوانِكَ عقربٌ وشجاعُ

وقال اٰخر

يا تاركَ البيتِ على الضّيفِ ... وهاربًا عنهُ من الخوفِ
ضيفُكَ قد جاءَ يخبزُ لهُ ... فارجعْ وكُنْ ضيفًا على الضّيفِ
اذا اشتهى الضيفُ طبيخَ الشّتا ... اتاهُ بالشّهوةِ فى الصيفِ

وان دنا المسكينُ من بابه شدّ على المسكين بالسّيفِ

وقال اٰخر

ارى ضَيفَكَ بالدّارِ وكَربُ الجوعِ يغشاهُ
على خُبزِكَ مكتوبٌ سيكفيكَهُمُ اللهُ

وقال اٰخر

لابى نوحٍ رَغيفٌ ابدا فى مُجَرّدايه
ابدًا يمسَحُهُ الدّهـ ـرَ بكُمٍّ ورِدائه
وله كاتبُ سِرٍّ خَطَّ فيه بعنايه
فسيكفيكَهمُ اللّـهُ الى اٰخرِ الاٰيه

وقال اٰخر

الخُبزُ يُطيحِ حين يَدعُو به كانهُ يقدُمُ من قافِ
ويَمدَحُ المِلحَ لاصحابهِ يقول هذا مِلحُ سِيرانِ
سيّان اكلُ الخبزِ فى دارِهِ وقَلعُ عَينيهِ بخَطّافِ

وقال اٰخر

فتًى لا يغارُ على عِرسِه ولكن يغارُ على خُبزِهِ
فمنهُ يدُ الجُودِ مقبوضةٌ وكَفُّ السّماحةِ فى حَجزِهِ

وقال اٰخر

يَصونونَ اثوابَهم فى التَّخوتِ وازْواجُهم بَذْلةٌ فى السِّكَكْ
يُنَحُّونَ مَن رامَ رُغفانَهم ويُدنونَ مَن رامَ حَلَّ التِّكَكْ

وقال اخر

امّا الرَّغيفُ على الخُوا نِ فمِن حمامات الحَرَمْ
ما انْ يُجَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
فتراهُ اخضَرَ يابِسًا بالى النُّقوشِ مِنَ الهَرَمْ

وقال اخر

اتَينا اباطاهرٍ مُفطِرينَ الى دارِهِ فرجَعْنا صيامًا
وجاءَ بخُبزٍ لهُ حامضٍ فقلتُ دَعُوهُ وموتوا كِراما

وقال اخر

يَبخَلُ بالماءِ ولو انهُ مُنغَمِسٌ فى وسطِ النيلِ
شُحًّا فلا تَطمَعُ فى خبزِهِ ولو تَشَقَّعتَ بِجبريلِ

وعن حذيفة بن محمد الطائى قال قال الرشيد ما لاحد من المولدين ما لابى نواس فى الهجاء

وما رَوَّحَنّا لِتَدنُبَ عنّا ولَكِن خِفتَ مَرزِبَةَ الذُّبابِ
شَرابُكَ كالسَّرابِ اذا التَقَينا وخُبزُكَ عندَ مُنقَطِعِ التُّرابِ

وقال اخر

خانَ عَهدِی عمرٌ ووفا خُنتُ عَهدَهٗ وجَفانی وما تَغَیَّرتُ بَعدَهٗ
لیسَ لی ماجَنیتُ ذَنبٌ الیهِ غیرَانی یومًا تَغَدَّیتُ عندَهٗ

وقال الخلیل بن احمد العروضی الازدی

فکفّاهُ لم تُخلَقا لِلنّدٰی ولم یَکُ بُخلُهُما بِدعَه
فکفٌّ علی الخبزِ مَقبُوضَةٌ کما نَقَصَتْ مائةٌ تِسعَه
وکفٌّ ثلاثةُ الافها وتِسعُ مِئیها لها شِرعَه[1]

وقال ابن ابی لبغل

وکلُّ مَنْ اجتَدیهِ فی بَلَدٍ اروم ممّا لدَیهِ فی صَفَدِ
یَعقُدُ لی بالیَسارِ اربَعَةً مَنقُوصةً تِسعةً الی العَدَدِ

وقال اٰخر

اتیتُ اباعمرٍو اُرجّی نَوالَهٗ فزادَ ابو عَمرٍو علی حَزَنی حُزنًا
فکنتُ کباغی القَرنِ اِسلَمُ اُذنَهٗ فاٰبَ بلا اُذنٍ لم یَستَفِدْ قَرنًا

[1] قلت فی هامش الاصل ما نصه وذکر جعفر بن محمد التمیمی فی کتابه الجامع فی اللغة الشرعة المثل یقال هذا شرعة ذاک ای مثله وعلی هذا تاولوا قول الخلیل رحمه الله فکف وذکر الابیات الثلاثة ثم قال یرید مثلها ای مثل الاولی وانا ادری ان تکون شرعتهم هنا دینا وسنة قال هذا الهادینًا ۱۲

محاسن الشجاعة

قيل كان باليمامة رجل من بنى حنيفة يقال له محمد بن مالك وكان لسنًا فاتكًا شجاعًا شاعرا وكان قد ابرّ على اهل حجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب محمد ربّه ويامره بالتجرد فى طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلًا عظيما ان هم قتلوا محمدًا او اتوه به اسيرًا ووعدهم ان يوفد هم الى الحجاج ويسنى فرائضهم فخرج الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبًا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمان اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدّوه وثاقا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثنى على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له انت محمد ر قال نعم قال ما حملك على ما بلغنى عنك قال جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان قال وما الذى بلغ من امرك فيجترئ جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك قال لو بلانى الامير لوجدنى من صالح الاعوان وبهم الفرسان وممن اوفى على اهل الزمان قال الحجاج انا قاذفوك فى قبة فيها اسد فان قتلك كفانا مؤونتك وان قتلته خلينا لك

ووصلناك قال قد اعطيت اصلحك الله الامنية واعظمت المنة و
قرّبت المحنة فامر به فاستوثق منه بالحديد والقى فى السجن و
كتب الى عامله بكسكر يامره ان يصيد له اسدًا ضاريًا فلم يلبث
العامل ان بعث اليه باسود ضاريات قد ابرّت على اهل تلك
الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحدًا
فى تابوت يجرّ على عجلة فلما قدموا به على الحجاج امر فالقى فى
حيز واجيع ثلاثا ثم بعث الى جحدر فاخرج واعطى سيفا ودلى
عليه فمشى الى الاسد وانشأ يقول

لَيثٌ وليثٌ مكانٍ ضَنكٍ كلاهما ذو انَفٍ ومحكِ
وصولةٍ فى بطشةٍ وفتكِ ان يكشف الله قِناعَ الشّكِ
وظفرًا بجوءٍ وبَزلكِ فهُوَ احقٌّ منزلٍ بتَرلكِ
الذِّئبُ يَعوِى والغُرابُ يبكى

حتى اذا كان منه على قدر رمح تعطى الاسد وزأر وحمل عليه
فتلقاه جحدر بالسيف فضربه هامته ففلقها وسقط الاسد كانه
خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تنطخ بدمه لشدة حملة الاسد
عليه فكبر الناس فقال الحجاج يا جحدر ان احببت ان الحقك
ببلادك واحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان احببت ان تقيم

عندنا اقمت فاسنينا فريضتك قال اختار صحبة الامير ففرض له و
لجماعة اهل بيته وانشأ حمدريقول

يا جُمَلُ انك لو رايت بسالتي ... في يوم هيج مُردفٍ وعجاج
وتقدمي للّيث ارسف نحوه ... حتى اكابده على الاحراج
جهمٌ كان جبينه لما بدا ... لطبق الرّحا متفجرٌ الاثباج
يرنو بناظرتين تحسب فيهما ... من ظن خالهما شعاع سراج
شثن براثنه كان ثيوبه ... زُرق المعاول وشذاة زجاج
وكانما خيطت عليه عباءة ... برقاء او خلق من الدّيباج
قرتان محتضران قد رتبتهما ... امّ المنية غير ذات نتاج
وعلمت انى ان ابيت نزاله ... انى من الحجاج لست بناجي
فمشيت ارسف في الحديد مكبلا ... بالموت نفسي عنه ذاك اناجي
والناس منهم شامتٌ وعصابةٌ ... عبراتهم لي بالخلوق شواجي
ففلقت هامته فخر كانه ... اطم تقوض مائل الابراج
ثم انثنيت وفي قميصي شاهدٌ ... مما جرى من شاخبٍ الاوداج
ايقنت اني ذو حفاظٍ ماجدٌ ... من نسل ملاكٍ ذوي التواج
فلئن قذفت الى المنية عامدًا ... اني لخيرٍ بعد ذلك راجي
علم النساء باننى لا انثنى ... اذ لا يثقن بغيرة الازواج

وحكى عن الطفيل بن عامر العمرى قال خرجت ذات يوم اريد
الغارة وكنت رجلا احب الوحدة فبينا انا اسير اذ ضللت الطريق
الذى اردته فسرت ايامًا لا ادرى اين اتوجه حتى نفد زادى فجعلت
اكل الحشيش وورق الشجر حتى اشرفت على الهلاك ويئست من الحياة
فبينا انا اسير اذ ابصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق فملت
اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لى يا ابن العم اين
تريد فقلت اردت حاجة لى فى بعض المدن وما اظننى الا قد
ضللت الطريق فقال الرجل ان بينك وبين الطريق مسيرة ايام فانزل
حتى تستريح وتطمئن وترتاح فرسك فنزلت فرمى لفرسى حشيشًا
وجاءنى بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه واجج نارًا
وجعل يكبب لى ويطعمنى حتى اكتفيت فلما جننا الليل قام و
فرش لى وقال قم فارم بنفسك فان النوم اذهب لتعبك وارجع
لنفسك فقمت ووضعت راسى فبينما انا نائم اذا قبلت جارية
لم ترعيناى مثلها قط حسنًا وجمالًا فقعدت الى الفتى وجعل كل
واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع على
النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها
فلما اصبحنا دنوت منه فقلت له ممن الرجل قال انا فلان بن فلان

فانتسب لى فعرفته فقلت له ويحك ان اباك لسيد قومه فما حملك على
وضعك نفسك فى هذا المكان فقال والله اخبرك كنت عاشقا لابنة
عمى هذه التى رأيتها وكانت هى ايضا لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس
فاتيت عمى فسألته ان يزوجنيها فقال يا بنى والله ما سالت شططا
وما هى باثر عندى منك ولكن الناس قد تحدثوا بشئ وعلك يكره
المقالة القبيحة ولكن انظر غيرها فى قومك حتى يقوم علك بالواجب
لك فقلت لا حاجة لى فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم
وزوجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الى ههنا (واشار بيده
الى خيم كثيرة بالقرب منا) فضاقت على الدنيا برحبها وخرجت فى
اثرها فلما رأتنى فرحت فرحا شديدا فقلت لها لا تخبرى احدا انى
منك بسبيل ثم اتيت زوجها وقلت انا رجل من الازد اصبت
دما وانا خائف وقد قصدتك لما اعرف من رغبتك فى اصطناع
المعروف ولى بصر بالغنم ان رايت ان تعطينى من غنمك شيئا
فاكون فى جوارك وكنفك فافعل: قال نعم وكرامة فاعطانى مائة
شاة وقال لى لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة
فى الوقت الذى رايت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم اعطانى
هذه فرضيت من الدنيا بما ترى قال فاقمت عنده ايا ما قبينا

انا نائم اذ نبهني وقال يا اخا بني عامر قلت له ما شانك قال ان ابنة عمي
قد بطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله ما اظن ذلك الا لامر حادث
فحدثني فجعلت احدثه فانشأ يقول

ما بال مَيّةَ لا تاتي كعادتِها ... هل حاجَها طَرَبٌ او صدَّها شُغُلُ
لكنَّ قلبيَ لا يعنيهِ غيرُكمُ ... حتى المماتِ ولا لي غيرُكم امَلُ
لو تعلمينَ الذي بي مِن فراقِكمُ ... لما اعتذَرتِ ولا طابتْ لكِ العِلَلُ
نفسي فِداؤُكِ قد حلَّلتِ بي حُرَقًا ... تكادُ من حرِّها الاحشاءُ تنفصلُ
لو كانَ عاديَةٌ منهُ على جبلٍ ... لَزَلَّ وانهدَّ من اركانِهِ الجبلُ

قال والله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومر نحو
الحيّ فابطأ عني ساعة ثم اقبل ومعه شئ ويجعل يبكي عليه +
فقلت له ما هذا قال هذه ابنة عمي افترسها السبع فاكل بعضها
ووضعها بالقرب مني فاوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومر نحو
الحيّ فابطأ هنيهة ثم اقبل الي وعلى عاتقه ليث كانه حمار فقلت
له ما هذا قال صاحبي قلت وكيف علمته قال اني قصدت الموضع
الذي اصابها فيه وعلمت انه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصدا
الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر
في الارض فامعن واخرج ثوبا جديدا وقال يا اخا بني عامر اذا انا مت

فادرجني معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفرة واهل التراب
واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام.

كُنّا على ظَهرِها والعيشُ في مَهَلٍ ... والدَّهرُ يجمَعُنا والدارُ والوَطَنُ
فخاننا الدَّهرُ في تفريقِ ألفَتِنا ... واليومَ يجمَعُنا في بطنِها الكَفَنُ

ثم التفت الى الاسد وقال

الا ايها الليثُ المُدِلُّ بنفسِهِ ... هُبِلتَ لقد جرَّتْ يداكَ لنا حُزنا
وغادرتَني فرْدًا وقد كنتُ ألفًا ... وصيَّرتَ آفاقَ البلادِ لنا سِجنا
اصحبُ دهرًا خانني بفراقِها ... معادًا الهي ان اكون له خِدنا

ثم قال يا اخا بني عامر اذا فرغت من شاننا فصح في ادبار
هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات
فقمت فادرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت
البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم
فاخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرنّ عليه تعظيمًا
له فخرجوا واخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فخرجت
ثلثمائة ناقة ثم انصرفنا * وقيل لما كان من امر عبد الرحمن بن
الاشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا الى شهاب بن حرقة
السعدي في الاسرى او القتلى فطلبوه فوجدوه في الاسرى فلما

ادخل على الحجاج قال له من انت قال انا شهاب بن حرقة قال والله لاقتلنك قال لم يكن الامير بالذى يقتلنى قال ولم قال لان فىّ خصالا يرغب فيهن الامير قال وما هن قال ضروب بالصفيحة هزوم للكتيبة احمى الجار واذب عن الذمار واجود على العسر واليسر غير بطئ عن النصر قال الحجاج ما احسن هذه الخصال فاخبرنى باشد شئ مرّ عليك قال نعم اصلح الله الامير

بينا انا اسير ... ومركبى وثير ... فى عصبة من قومى
فى ليلتى ويومى ... يمضون كالاجادل ... فى الحرب كالبواسل
انا المطاع فيهم ... فى كل ما يليهم ... فسرت خمسًا عومًا
وبعد خمس يومًا ... حتى وردت ارضًا ... ما ان ترام عرضًا
من بلد البحرين ... عند طلوع العين ... فهجتهم نهارًا
القس المغارًا ... حتى اذا كان السحر ... من بعد ما غاب القمر
اذا انا بعير ... يقودها خفير ... موقرة متاعًا
مقبلة سراعًا ... فصلت بالسنان ... مع سادة فتيان
فسقتها جميعًا ... احثها سريعًا ... اريد رمل عالج
امعج بالعناجج ... اسير فى الليالى ... خرقًا بعيدًا خالى
وقد لقينا تعبًا ... وبعد ذاك نصبا ... حتى اذا هبطنا

من بعد ما صعدنا عنت لنا بيدانه قد كان فيها عانة
رميتها بقوسي في مهمه كالترس حتى اذا ما امعنت
بالقفر ثم درمت وردت قصرا منهلا في جوفه طام حلا
وعنده خيمه في جوفها نعيمه عزيزة كالشمس
فاقت جميع الانس فعجت مهري عندها حتى وقفت معها
حييت ثم رددت في لطف وحيت فقلت يا لعوب
والطفلة العروب هل عندكم قراء اذ نحن بالعراء
قالت نعم برحب في لطف وقرب اربع هنا عتيدا
ولا تكن بعيدا حتى يجئك عامر مثل الهلال زاهر
فعجت عن قريب في باطن الكثيب حتى رايت عامرا
يحمل ليثا خادرا على عتيق سابح كمثل طود اللامح

قال وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا ثم قال ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث + قال نعم ايها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة واوقد عليها نارا وشق عن بطن الاسد والقى مراقه في النار فجعلت اصلح الله الامير اسمع للحم الاسد نشيشا ففالت له نعيمة قد جاءنا ضيف وانت في الصية + قال فما فعل قالت ها هو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فاومات

الى فاتيتها فاذا انا بغلام امرد كأن وجهه دارة القمر فربط فرسي
الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم امتنع من اكل لحم الاسد
لشدة الجوع فاكلت انا وتعيمة منه بعضه واتى الغلام على اخره
ثم مال الى زق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام
حتى اتى على اخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل
اصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم
قلت يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها فقال ويلك احفظ
الممالحة + قلت لابد من الجارية فالتفت اليها وقال لها قفي ثم قال
يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل
من اصحابي فقال له الغلام من انت فلست اقاتل من لا اعرفه
ولا اقاتل الا كفوا اعرفه + فقال انا عاصم بن كلبة السعدي
فشد عليه + وانشأ يقول

انك يا عاصم بي لجاهل ... اذرمت امرا انت عنه ناكل
اني كمي في الحروب باسل ... ليث اذا اصطك الليوث بازل
ضراب هامات العدا منازل ... قتال اقران الوغا مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال: يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس
وفارس فتقدم اليه اخر من اصحابي فقال له الغلام: من انت +

فقال: انا صابر بن حرقة فشد عليه وانشأ يقول

انّكَ والاله لَستَ صابرَا على سِنانٍ يَجلبُ المَقاديرَا
ومُنصلٍ مثلِ الشّهابِ باترَا فى كفِّ قَرمٍ يَمنعُ الحَرائرَا
انّى اذا رُمتُ امرَا فاسيرَا يكونُ قِرنى فى الحُروبِ بائرَا

ثم طعنه فقتله وقال + يا فتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى امره واشفقت على اصحابى فقلت + احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رآى ذلك انشأ يقول ـ

الآنَ طابَ الموتُ ثمّ طابا اذ تطلبونَ رخصةً كعّابا
ولا نُريدُ بعدَهَا اعتِابا

فركبت نعيمة فرسها واخذت رمحها فما زال يجالدنا ونغيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فاشفقت على اصحابى فقلت: يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة + فقال ما كان احسن هذا لو كان اولا ونزلنا وسالمنا ثم قلت يا عامر بحق المحالحة من انت قال انا عامر ابن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر ما مر بنا انسى غيركم فقلت من اين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن اين شرابكم قال الخمر اجلبها من بلاد البحرين كل عام مرتين او مرتين قلت ان معى مائة من الابل

موقرة متاعًا فخذ منها حاجتك فقال لا ارب لى فيها ولو اردت ذلك لكنت اقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين ٭ فقال الحجاج الان يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال كان خروجى على الامير اصلحه الله اعظم من ذلك فان عفى عنى الامير رجوت ان لا يؤاخذنى بغيره فاطلقه ووصله وردّه الى بلده۔

ضدّه

قال ٭ دخل ابو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيًا فقال له بلغنى انك تجيد وصف الاسد ٭ فقال له لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مخبرا لا يزال ذكره يتجدد على قلبى ٭ قال هات ما مرّ على راسك منه ٭ قال خرجت يا امير المومنين فى صُيّابة من افناء قبائل العرب ذوى شارة حسنة ترتمى بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن ابى شمر الغسانى ملك الشام فاخرو ط بنا المسير فى حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وضايق العصفور الضب فى وجاره قال قائلنا ٭ ايها الركب غورا وابنا فى دوح هذا الوادى فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنّة واطياره

مرنةً فخططنا رحالنا باصول دوحات كنهلات فاصبنا من فضلات
المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا لنصف حرّ يومنا ومما طلته
ومطاولته اذ صرا قصى الخيل ذنبه وفحص الارض بيديه ثم مال الليث
ان جال فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذى يليه واحد بعد
واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال
فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا ان قد اتينا وانه السبع
لاشكّ فيه ففزع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جُرَّبانه ثم
وقفنا له رِدْفًا فاقبل يتظالع فى مشيته كانه مجنوب او فى هجار لصدره
نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كانما
يخبط هشيمًا او يطأ صريمًا واذا هامط كالمجن وخد كالمسن وعينان
سجراوان كانهما سراجان يقدان وقصرة زبلة ولهزمته رهلة وكتفه
مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكنف شثنة
البراثن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فارهج وكشر فافرج
عن انياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم شدق كالغار الاخرق
ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه
ثم اقعى فاقشعرّ ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأرّ فلا والذى بيته
فى السماء ما اتقيناه باول من اخ لنا من بنى فزارة كان ضخم الجزارة

فوهصه ثم اقصه فقضقض متنه وبقربطنه فجعل يلغ فى دمه
فذمرت اصحابى فبعد لاى ما استقدموا فكر مقشعرّ الزبرة كان
به شيهما حوليا فاختلج من دونى رجلا اعجز ذا حوايا فنفضه نفضة
فتزايلت اوصاله وانقطعت اوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم
زار فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن
شماله ويمينه فارتعشت الايدى واصطكت الارجل واطت الاضلاع
وارتجت الاسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور
البطون ثم ساءت الظنون - وانشأ يقول

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخِدٌّ خِنَابِرٌ ... جَرِيٌّ عَلَى الارْوَاحِ لِلْقِرْنِ قَاهِرُ
مَنِيعٌ وَيَحْمِى كُلَّ وَادٍ يَرُومُهُ ... شَدِيدٌ اصُولُ الماضِغَيْنِ مُكَابِرُ
بَرَاثِنُهُ شُثْنٌ وَعَيْنَاهُ فِى الدُّجَى ... كَجَمْرِ الغَضَا فِى وَجْهِهِ النَّمِرُ ظَاهِرُ
يُدِلُّ بِانْيَابٍ حِدَادٍ كَانَّهَا ... اذَا قَلَّصَ الاشْدَاقُ عَنْهَا خَنَاجِرُ

فقال عثمان اكفف لا امر لك فلقد ارعبت قلوب المسلمين ولقد
وصفته حتى كانى انظر اليه يريد يا تبنى وقيل فى المثل هو اجبن
من هجرس - وهو القرد - وذلك انه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة ان
يأكله الذئب * وحدثنا رجل بمكة قال اذا كان الليل رايت القرود
تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحدًا فى اثر واحد فى يد

كل واحد منهم حجرا لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد
سقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك
طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة
اميال واكثر جبنا * وقيل هو اجبن من صافر وهو طائر يتعلق برجليه
وينكس راسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من ان ينام فيوخذ * وقيل
ايضا هو اجبن من المنزوف ضرطا * وكان من حديث ان نسوة
من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان
ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح ويقول *
لولعادية تنبهتنى - اى خيل عادية علىّ مغيرة فادفعها عنكن -
فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا الشجاع ثم اقبلن وقلن
تعالين نجربه فاتينه كما كن ياتينه فايقظنه فقال لو لعادية
نبهتنى فقلن له نواصى الخيل معك * فجعل يقول الخيل الخيل
ويضرط حتى مات فضرب به المثل * وقيل لجبان انهزمت ففضب
الامير عليك قال يغضب الامير وانا حى احب الى من ان يرضى
وانا ميت وقيل لبعض الجبان مالك لا تغزو قال والله انى لا بغض
الموت على فراشى فكيف امر اليه ركضا * قال وقال الحجاج لحميد
الارقط وقد انشده قصيدة يصف فيها الحرب يا حميد هل قاتلت

قط قال لا ايها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك قال
انتبهت وانا منهزم وهما قيل فى ذلك من الشعر

ظَلَّتْ تُشَجِّعُنِى هِنْدٌ بِتَضْلِيلِ ... وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيْرُ مَجْهُولِ
هَا اَنَّى شُجَاعًا لِغَيْرِ الْقَتْلِ مَصْرَعُهُ ... اَوْ جِدْلُ اَلْفِ جَبَانٍ غَيْرِ مَقْتُولِ
اَلْحَرْبُ تُوسِعُ مَنْ يَصْلَى بِهَا حَرَبًا ... يُتْمَ الْعِيَالِ وَاَكْلَ الْمَثَاكِيلِ
اِسْمُ الْوَغَى اَشْتَقَّ مِنْ غَوْغَاءِ يُحْزِبُهَا ... يَغْدُونَ لِلْمَوْتِ كَالتَّطْيَارِ اَبَابِيلِ
وَاللّٰهِ لَوْ اَنَّ جَبْرِيلًا تَكَفَّلَ لِى ... بِالنَّصْرِ مَا خَاطَرَتْ نَفْسِى لِجَبْرِيلِ
هَلْ غَيْرَ اَنْ يَعْدِرُونِى اَنَّنِى فَشِلٌ ... فَكُلُّ هٰذَا نَعَمْ فَاغْرُوا بِتَعْزِيلِى
اَنْ اَعْتَذِرْ مِنْ فِرَارِى فِى الْوَغَى اَبَدًا ... كَانَ اعْتِذَارِى رَدِيدًا غَيْرَ مَقْبُولِ
اِسْمَعْ اُخَيَّكَ عَنْ يَاسِى بِذِى سَلَبٍ ... خِلَافَ يَاسِ الْمَسَاعِيرِ اِلْبِهَا لِيلِ
لَمَّا بَدَتْ مِنْهُمُ نَحْوِى عَشُوزَنَةٌ ... شَمْطَاءُ تَشْرَعُ فِى عِرْضِى وَفِى طُولِى
نَقَلْتُ وَيْحَكُمُ لَا تَرْهَبُوا جَلَدِى ... رُمْحِى كَسِيرٌ وَسَيْفِى غَيْرُ مَصْقُولِ
لَمَّا اتَّقَيْتُهُمُ طَوْعًا بِذَاتِ يَدِى ... وَاَنْصَعْتُ اَطْوِى الْفَلَا مِيلًا اِلَى مِيلِ
اَللّٰهُ خَلَّصَنِى مِنْهُمْ وَفَلْسَفَتِى ... حَتَّى تَخَلَّصْتُ مَخْضُوبًا لِسَرْاوِيلِ

وقال اخر

اِضْحَتْ تُشَجِّعُنِى هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا ... اِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِى حَجَّتِ الْاَنْصَارُ كَعْبَتَهُ ... مَا يَشْتَهِى الْمَوْتَ عِنْدِى مَنْ لَهُ اَرَبُ

للحرب قوم اضل الله سعيهم اذا دعتهم الى حوماتها وثبوا
ولست منهم ولا اهوى فعالهم لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

وقال اخر

يقول لي الامير بغير جرم تقدم حين حل بنا المراس
فقلت ان اطعتك في حياة فلا لي غير هذا الراس راس

محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم ارضه كما تتروح الارض الجدبة بيل المطر. وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ومما يؤكد ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهي فقال مخيضا رويا وضبا مشويا. وقد قيل احق البلدان بنزاعك اليها بلد امصك حلب رضاعه. وقيل احفظ ارضا ارسخك رضاعها واصلحك غذاؤها وارع حمى لا كتنفك فناؤه. وقيل لا تشك بلدا فيه قبائلك وقيل من علامة الرشد ان تكون النفس الى اوطانها مشتاقة والى مولدها توافة. وحدثنا بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها

قال مساقط الحمى حمى ضرية ما ان لعمر الله اريد بها بدلا ولا ابتغى
عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملوح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها
اذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بارفه عيش واوسع معيشة
واسبغ نعمة قلت مم طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع
مع القنافذ والحيات وربتما والله اكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم
احدا اخصب منا عيشا فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من
حسن الدعة * وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية اذا انتصف
النهار وانتعل كل شئ ظله * قال وهل لعيش الا ذاك يمشي احدنا
ميلا فيرنقض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه
وتقبل الرياح من كل جانب فكانه في ايوان كسرى وقال بعض الحكماء
عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك * وقيل لاعرابي ما الغبطة
قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان * وقيل فما
الذل قال التنقل في البلدان والتنحي عن الاوطان * وقال بعض
الادباء الغربة ذلة والذلة قلة وقال الآخر لا تمهضن عن وطنك
وركزك فتنقصك الغربة وتصمتك الوحدة وشبهت الحكماء الغريب
باليتيم اللطيم الذي ثكل ابويه فلا ام ترامه ولا اب يحدب عليه
وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذي نقل

للحرب قوم اضل الله سعيهم اذا دعتهم الى حوماتها وثبوا
ولست منهم ولا اهوى فعالهم لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

وقال آخر

يقول لي الامير بغير جرم تقدم حين حل بنا المراس
فقلت ان اطعتك في حياة فلا في غيرها هذا الراس راس

محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب لو لا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان وقال جالينوس يترو ح العليل بنسيم ارضه كما تترو ح الارض الجدبة بهبوب المطر ٭ وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ومما يؤكد ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهي فقال مخيضا رويا وضبا مشويا ٭ وقد قيل حق البلدان بنزاعك اليها بلد امصك حلب رضاعه ٭ وقيل احفظ ارضا ارسخك رضاعها و اصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فناؤه ٭ وقيل لا تشك بلدا فيه قبائلك وقيل من علامة الرشد ان تكون النفس الى اوطانها مشتاقة والى مولدها توا قة ٭ وحدثنا بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها

قال مساقط الحمى حمى ضرية ما ان لعمر الله اريد بها بدلا ولا ابتغى
عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملوح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها
اذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بارفه عيش واوسع معيشة
واسبغ نعمة قلت مم طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع
مع القنافذ والحيات وربتما والله اكلنا القد واشتوينا الجلد فالنعلم
احدا اخصب منا عيشا فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من
حسن الدعة * وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية اذا انتصف
النهار وانتعل كل شئ ظله * قال وهل لعيش الا ذاك يمشي احدنا
ميلا فيرتفض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه
وتقبل الرياح من كل جانب فكانه في ايوان كسرى وقال بعض الحكماء
عمارك في بلدك خير من يسارك في غربتك * وقيل لاعرابي ما الغبطة
قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان * وقيل فما
الذل قال التنقل في البلدان والتنحي عن الاوطان * وقال بعض
الادباء الغربة ذلة والذلة قلة وقال الآخر لا تهضمن عرق وطنك
وكرك فتنقصك الغربة وتصمتك الوحدة وشبهت الحكماء الغريب
باليتيم اللطيم الذي ثكل ابويه فلا امر ترامه ولا اب يحدب عليه
وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذي نبل

ارضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر وكان يقال الجالى
عن مستقط راسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل سبع
فريسة ولكل كلب قنيصه ولكل رام رميه واحسن من ذلك واصدق
قول الله عز وجل (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى
(ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه
الا قليل منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل وقال
تقدست اسماؤه (وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء * وقال النبى صلى الله
عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة ومما قيل فى ذلك من الشعر

اذا ما ذكرت التغر فاضت دموعى ... واضحى فؤادى هبة للهمائم
حنينا الى ارض بها اخضر شاربى ... وحلت بها عنى عقود التمائم
والطف قوم بالفتى اهل ارضه ... وارعاهم للمرء حق التقادم

وقال آخر

احن الى ارض الحجاز وحاجتى ... خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظرى من نحو نجد بناضعى ... اجل لا ولكنى على ذاك انظر
ففى كل يوم نظرة ثم عبرة ... لعينيك يجرى ماؤها يتحدر
متى يستريح قلب فامّا محاذر ... حزين وامّا نازح يتذكر

وقال آخر

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ... وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وقال ابن ابي السرح قرأت على حائط بمنبج شعر وهما

إِنَّ الْغَرِيبَ وَلَوْ يَكُونُ بِبَلْدَةٍ ... يُجْبَى إِلَيْهِ خَرَاجُهَا الْمَغْرُوبُ

وَأَقَلُّ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ مِنَ الْأَذَى ... أَنْ يُسْتَذَلَّ وَأَنْ يُقَالَ كَذُوبُ

قال وقرأت على حائط ببغداد بعسكر مكرم

إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا يُنَادِي مُوجَعًا ... عِنْدَ الشَّدَائِدِ كَانَ غَيْرَ مُجَابِ

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْغَرِيبِ فَكُنْ لَهُ ... مُتَرَحِّمًا لِتَبَاعُدِ الْأَحْبَابِ

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غَرِيبُ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ ... جَمِيعُ سُؤَالِهِ ابْنُ الطَّرِيقِ

تَعَلَّقَ بِالسُّؤَالِ لِكُلِّ شَيْءٍ ... كَمَا تَعَلَّقَ الرَّجُلُ الْغَرِيقُ

فَلَا تَجْزَعْ فَكُلُّ فَتًى سَيَأْتِي ... عَلَى حَالَاتِهِ سَعَةٌ وَضِيقُ

قال ووجدت على حائط باب مكتوبًا

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا خَيْرَ مَنْزِلٍ ... رَحَلْنَا وَخَلَّفْنَاكَ غَيْرَ ذَمِيمِ

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَمَا أَحَدٌ مِنْ رَبِّهَا بِسَلِيمِ

وقال آخر

وانّ اغتراب المرء من غير حاجةٍ ... ولا فاقةٍ يسمولها لعجيبُ
فحسبُ امرئٍ ذُلًّا ولوادرك الغنى ... ونالَ ثراءً ان يُقال غريبُ

وقال اخر

انّ الغريبَ وان يكنْ فى غبطةٍ ... لمعذّبٌ وفؤادهُ محزونُ
ومتى يكونُ مع التغرّبِ عاشقًا ... ومفارقًا يارَبِّ كيف يكونُ

وقال اخر

انّ الغريبَ ذليلٌ اين ماسلكا ... لوانهُ ملكُ كلّ الورى ملكا
اذا تغنّى حمامُ الايكِ فى غُصُنٍ ... حنّ الغريبُ الى اوطانهِ فبكى

وقال اخر

سلِ اللهَ الايابَ من المغيبِ ... فكم قد ردّ مثلكَ من غريبِ
وسلّ الحزنَ منكَ بحسنِ ظنٍّ ... ولا تيأس من الفرجِ القريبِ

وقال اخر

تصبّرْ ولا تعجلْ وقيتَ من الردى ... لعلّ ايابَ الظاعنين قريبُ
فقلتُ وفى قلبى جوًى لفراقها ... الا لا تصبّرنى فلستُ اجيبُ

وقال اخر

اعاذلَ حبّى للغريبِ سجيّةٌ ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ حبيبُ
لئن قلتُ لى اجزعْ من البينِ انّ مضَوْا ... لطيّتهمْ انى اذًا لكذوبُ

بلى غبرات الشوق اضرمت الحشا ... ففاضت لها من مقلتي غروب

وقال اخر

اذا اغترب الكريم رأى له مولدا ... مجللة يشيب لها الوليد

وقال اخر

ما كنت احسب ان يكو ... ن كذا تفرقنا سريعا
بخل الزمان علي ان ... نبقى كما كنا جميعا
فاحلني في بلدة ... واحلك البلد الشسيعا
قد كنت انتظر الوصا ... ل فصرت انتظر الرجوعا

وقال اخر

نسيم الغوازي والرياح التي جرت ... بتجديد علم بعد ذكرى نحدا
اتاني نسيم السيد رطيبا الى الحمى ... فكرر نحبا انقطع وحدا

وفي معناه الدعاء للمسافر بامن طالع واسر طائره و
لا كبا بك مركب ولا اشتبه بك مذهب ولا تعذر عليك مطلب
سهل الله لك السير وانالك المقصد وطوى لك البعد بسرعة الظفر
وكرامة المدخر وعلى اسطار المنون والكواكب السعد اني حيث تقيم
ايدك الحوادث عنك وتنقاد عن نوائب الايام دونك بسهولة
المطلب ونجاح المنقلب وكان الله لك في سفرك خليفة وفي

حضرك ظهيرا بسعى نجيح واوب سريع + بصرك الله محلك وهداك رحلك وسُرباد بتك اهلك ولا زلت آمنًا مقيمًا وظاعنًا باسعد جد وانجح مطلب واسر منقلب واكرم مبدأة واحمد عاقبة + اشخص مصحوبًا بالسلامة والكلاءة آيبا بالنجح والغبطة محوطًا فيما تطالعه بالعناية والشفقة فى ودائع الله وكنفه وجواره وستره وامانة حفظه وذمامه + وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : انى اريد سفرا + فقال فى كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجّهك الى الخير حيث ما كنت استخلف الله فيك واستخلفه منك + وقال الشاعر

فى كنفِ الله وفى سَتْرِهِ ... مَن ليسَ يَخْلُو القلبُ مِن ذِكْرِهِ

وقال آخر

اِرْحَلْ اَبا بِشْرٍ بِأَيْمُنِ طائرٍ ... وعلى السَّعادةِ والسَّلامةِ فانزلِ

صفة

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا مالًا غنمتم عقلًا كثيرا + وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن + وقيل لا توحشنك الغربة اذا انستك النعمة + وقيل الفقير فى اهله مصروم والغنى فى الغربة موصول + وقال لا تستوحش من الغربة اذا انست مصروما + وقيل اوحش

قومك ما كان فى ايحاشهم انسك، واهجر وطنك ما نبت عن نفسك * وانشد

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة ... نزوع نفس الى اهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ... اهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال اخر

نبئت بك الدار فسرا امنا ... فالفق حيث انتهى دار

وفى معناه الدعاء على المسافر بالبارح الاشأم والسانح الاعضب والصرد الانكد والسفر الابعد * لاستمرت به مطيته ولا استبيت به امنيته ولا تراخت منيته * بنحس مستمر وعيش مر لا قرى اذا استضاف ولا امن اذا خاف * ويقال ان عليا عليه السلام لما انفصل به مسير معاوية قال لا ارشد الله قائده ولا اسعد رائده ولا اصاب غيثا ولا سارا لا ريثا ولا رافق الا لينا ابعده الله واسحقه واوقد على اثره واحرقه لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به اهله لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما لا فرج الله له غمه ولا سرى همه لا سقاه الله ملا ولا احراعقده ولا اورى زنده جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق * وانشد

بانكد طائر وبشر فال ... لا بقد غاية واخس حال

بحدِّ السُّدِّ حيثُ يكونُ منّى ... كما بين الجنوبِ إلى الشمالِ
غريبًا تمتطى قدميكَ دهرًا ... على خوفٍ تحقُّ الى العيالِ

وقال اخر

اذا استقلّتْ بكَ الرّكابُ ... فحيثُ لا درّتِ السّحابُ
وحيثُ لا تبتغى فلاحًا ... وحيثُ لا يُرتجى ايابُ
وحيثما دُرتَ فيه يومًا ... قابلكَ الذّئبُ والغرابُ

وقال اخر

فسِرْ يا نحوسُ الى بلدةٍ ... تُعمّرُ فيها ولا ترزقُ
ولا تمرعُ الارضُ من زهرةٍ ... ولا يثمرُ الشجرُ المورقُ
تغيضُ إليها ربيعًا مرّةً ... ويكذبُ السّحابُ بها المُغدِقُ

وقال اخر

اذنى خُطاكَ الهندُ والصّينُ ... وكلُّ نحسٍ بكَ مقرونُ
بحيثُ لا يأنسُ مستوحشٌ ... وحيثُ لا يفرحُ محزونُ
تهوى بكَ الارضُ الى بلدةٍ ... ليس بها ماءٌ ولا طينُ

محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن حسن بن عمار قال + قدم شيخ من خزاعة ايام المختار فنزل على عبد الرحمن بن ابان الخزاعى فلما رأى ما تصنع سوقة

المختار من الاعظام جعل يقول: يا عباد الله ابا المختار يصنع هذا والله لقد رأينا ينتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال: ما هذا الذي بلغني عنك + قال الباطل + فامر بضرب عنقه فقال لا والله لا تقدر على ذلك + قال ولم قال اما دون ان انظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لاعرف الشجرة الساعة واعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم + ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال + يا اخا خزاعة او مزاح عندا لقتل + قال انشدك الله ان اقتل ضياعا قال وما تطلب ههنا + قال اربعة آلاف درهم اقضي بها ديني + قال ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه + قال كان سراقة البارقي من ظرفاء اهل الكوفة فاسره رجل من اصحاب المختار فاتى به المختار فقال له + اسرك هذا + قال سراقة + كذب والله ما اسرني الا رجل عليه ثياب بيض على فرس ابلق + فقال المختار + الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فلما افلت منه انشأ يقول

الا ابلغ ابا اسحاق اني ... رايت البلق دهما مصمتات

ارى عينى ما لم ترا باه كلانا عالم بالترهات
كفرت بوجيكم وجعلت ندا على قتالكم حتى الممات

وعنه قال + كان الاحوص بن جعفر الخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الاطمار قال حمزة لسراقة اين يذهب بنا فى البرد ونحن فى اطمار + قال سأكفيكه فبينما هو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه ووافقه ساعة ولحق بالاحوص فقال له ما خبرك الراكب + قال زعمت خوارج خرجت بالقطقطانة + قال بعيدة قال + ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا واكثر وكان الاحوص احد الجبناء فثنى راس دابته وقال ارد واطعامنا نتغدى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لاصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال خرجت خارجة بالقطقطانة + فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج اتعرفون الخبر فما علموا به لانه لا اصل للخبر فقال للاحوص من اعلمك بهذا قال سراقة قال واين هو قال فى منزلى فارسل اليه من اتاه به قال : انت اخبرته عن الخارجة قال افعلت اصلح الله الامير قال له الاحوص لتكذبنى بين يدى الامير قال خالد

ويحك اصدقني قال نعم اخرجنا في هذا البرد وقد ظاهرنا الخز والوبر ونحن في اطمارنا هذه فاحببت ان ازدهه فقال له خالد ويحك هذا مما يتلاعب به وسراقه هذا هو القائل ـ

قالوا سُراقةُ عِتْنٌ قلتُ لهم ... اللهُ يعلمُ اني غيرُ عِتْيِنِ

فان ظننتم بي الشيءَ الذي زعموا ... فقربوني من بيتِ ابنِ ياسينِ

وذكروا ان شبيب بن يزيد الخارجي مرّ بغلام مستنقع في القراح فقال له يا غلام اخرج اني اسألك فعرفه الغلام فقال له اني خائف افأمن انا اذا خرجت حتى البس ثيابي قال نعم فخرج وقال والله لا البسها اليوم فضحك شبيب وقال خذ عني يا رب الكعبة ووكل به رجلا من اصحابه يحفظه ان لا يصيبه احد بمكروه قال وكان رجل من الخوارج يقول

نسايرُ يزيدَ والبطينَ وقَعْنَبٌ ... وسنا اميرُ المؤمنينَ شَبيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فامر بطلب قائله فاتي به فلما وقف بين يديه قال انت القائل ومنا اميرُ المؤمنين شبيب قال لم اقل هكذا يا امير المؤمنين انما قلت ومنا اميرُ المؤمنين شبيب فضحك عبد الملك وامر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع الى النصب وزعم ان عمرو بن معدي كرب

هجم في بعض غاراته على شابة جميلة منفردة واخذها فلما امعن بها
بكت فقال ما يبكيك قالت ابكي لفراق بنات عمي ومن مثلي في
الجمال وافضل مني خرجت معهن فانقطعتا عن الحي قال وابن هن
قالت خلفت ذلك الجبل وودت اذ اخذتني انك اخذتهن معي
فامض الى الموضع الذي وصفته فمضى الى منالك فما شعر بشيء
حتى هجم على فارس بذلك في السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه
الفارس فعرض عليه ضربه بالمناوشة فغلبه الفارس في كلها
فسأله عمر عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكناني فاستنقذ
الجارية ومن معها وان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا
رجلا بالبادية معه جارية كالبدر يا احسن منها شبابا وجمالا
فحمل عليها ومعه قوس فرمى بها وهابا الا قدام عليه ثم عاد
ليرمي فانقطع وتره وسلم الجارية واسند في جبل وان قريبا منه
فاتبعه راكضا الجارية وكان في فمها قربة فيها درة فانتزعها من
اذنها فقالت وما قال فاخذ يتهاداها الى ان بعد معه في تلك الوجه وفي
القلادة وترك اخذه ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة تذكر
ما ترك فانصرف فلما رجع في طلبه قولي ليست لها هبة الا انفسها وخلصها
من البادية ومن الهيثم فان كان لها جاح حسودا لا تنال له صنيعة

حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمي الى عبد الرحمن بن محمد بن
الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه
ما احب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به ويقول
ايها الامير اشرفت العرب انت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع
وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك وسئورتك وربما كان هذا
كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس احد اشكر لسلائك مني ومن
ابن الاشعث وما خطوه حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك
فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على اهل فلسطين اميرا فلم يزل
يلطف بالحجاج في مسيره ويعظمه حتى قدما على عبد الملك فلما
قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج قام عمارة + فقال يا
امير المؤمنين + سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي قال
الحجاج يا امير المؤمنين صنع وصنع من بأسه ونجدته وعفافته
كذا وكذا وهو ايمن الناس نقيبة واعلمهم بتدبير وسياسة لم يبق
في الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يا امير المؤمنين قال نعم
فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد رضيت قال عمارة
فلا رضي الله عن الحجاج يا امير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه ثم
والله السيئ التدبير الذي قد افسد عليك اهل العراق والله الناس

عليك وما اتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله امثالها ان لم تعزله فقال الحجاج له يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت رأية الحجاج ابدا قال اني اعلم انه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي العتبى وارسل اليه ارجع اليا فقال ما كنت اظن ان عقلك على هذا ارجع اليه بعد الذي كان من طعني عليه قولي عند امير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

ضده

قيل في المثل: هو احمق من عجل وهو عجل بن لجيم وذلك انه قيل له ما سميت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الاعور فقال لشاعر فيه

رَمَتْنِي بنو عِجْلٍ بداءِ ابيهِمُ ... وامِّيَ امرِئٌ في الناسِ احمقُ من عِجْلِ
الَيسَ ابوهُمُ عارَ عينَ جَوَادِهِ ... فصارَتْ به الامثالُ تُضرَبُ في المَهلِ

وقيل هو احمق من هبنّقة وبلغ من حمقه انه ضلّ له بعير فجعل ينادي من وجد بعيري فهو له فقيل له لم تنشده قال واين حلاوة الظفر والوجدان واختصمت اليه الطفاوق وبنو راسب في رجل يدعي هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم اول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنّقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما

دنا قصوا عليه القصة فقال هبتقة الحكم فى هذا بين اذ هبوا به الى نهر البصرة فالقوه فيه فان كان راسبا رسب وان كان طفاويا طفا + فقال الرجل لا اريد ان اكون من احد هذين الحيين لا حاجة لى فى الديوان + وقيل هو احمق من دغة وهى مارية بنت مغنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تتبرز فصاحت فصاح الولد فجاءت منصرفة يا اماه هل يفتح الجعرفاه + قالت نعم ويدعو اباه فسبت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء + وقيل هو احمق من باقل وكان اشترى عنزا باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق اصابعه واخرج لسانه يريد احد عشر درهما فغيروه بذلك قال الشاعر

يَلومُونَ فى حُمقه باقِلاً ... كانّ الحماقةَ لم تُخلَقِ
فلا تُكثِروا العَذْلَ فى عِيّهِ ... فللصّمتُ اجملُ بالاحمَقِ
خُروجُ اللّسانِ وفَتحُ البَنانِ ... احبُّ الينا من المَنطِقِ

ومما قيل فيه ايضا من الشعر

يا ثابتَ العَقلِ كم عايَنتَ ذا حُمُقٍ ... الرِّزقُ فى اعزلى به من لازِمِ الجَرَبِ
فانى واجدٌ فى النّاسِ واحدةً ... الرِّزقُ ازوَغُ شئ عن ذَوِى الادَبِ
وخَصلةٌ ليس فيها مَن يُخالِفُنى ... الرِّزقُ والتُّوكُ مَقرُونانِ فى سَبَبِ

وقال اخر

ارى زمناً نوكاه اسعد خلقه ... على انه يشقى به كل عاقل
علا فوقه رجلاه والرأس تحته ... وكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وقال اخر

كم من قوي قوي في تقلبه ... سهل باللب عنه الرزق معترف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كانه من خليج البحر يغترف

محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتاً من شعر

انى امرؤ من حمير حين تنسبني ... لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال له ذلك اباهم بل وابعد عن الله ورسوله وقال بعضهم

ان اسعد الحمراء كانت ازرية ... وقامر بن بصري خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعداً اغير قائم

شعيب بن ابراهيم عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث
عن عبد المطلب بن ربيعة قال مر العباس بن عبد المطلب رضي الله
عنه بنفر من قريش وهم يقولون انا فيهم في اهله مثل نخلة نبتت
في كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج

حتی قام فیهم خطیبا ثم قال یا ایها الناس من انا قالوا انت رسول الله
قال فانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل
خلق خلقه فجعلنی من خیر خلقه ثم جعل الخلق الذی انا منهم
فریقین فجعلنی من خیر الفریقین من خلقه ثم جعل الخلق الذی
انا منهم شعوبا فجعلنی فی خیرهم شعبا ثم جعلهم بیوتا فجعلنی من
خیرهم بیتا فانا خیرکم بیتا و خیرکم والدا و انی سباه لکم قم یا عباس
فقام عن یمینه ثم قال قم یا سعد فقام عن یساره فقال یقرب امرؤ
منکم عما مثل هذا و خالا مثل هذا ۞ وحدثنا سنان بن الحسن التستری
عن اسماعیل بن مهران العسکری عن ابان بن عثمان عن عکرمة
عن ابن عباس رحمهما الله تعالی عن علی بن ابی طالب کرم الله وجهه
قال لما امر رسول الله صلی الله علیه وسلم ان یعرض نفسه علی
القبائل خرج وانا معه وابو بکر وکان عالما بانساب العرب فوقفنا
علی مجالس من مجالس العرب علیهم الوقار والسکینة فتقدم ابو بکر
فسلم علیهم فردوا علیه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربیعة
قال من هامتها امن لهازمها قالوا بل من هامتها العظمی قال وای
هامتها قالوا ذهل قال ذهل الاکبر امذهل الاصغر قالوا بل الاکبر
قال فمنکم عوف الذی کان یقال لاحر بر ادی عوف قالوا لا قال

افمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال
افمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال افمنكم
المزدلف صاحب العمامة قالوا لا قال افانتم اخوال الملوك من كندة
قالوا لا قال افانتم اصهار الملوك من لخم قالوا لا قال فلستم من ذهل
الاكبر اذا انتم من ذهل الاصغر فقام اليه اعرابى غلام حين بقل
وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف
على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا ان نسأله ... والعبء لا تعرفه او تحمله

يا هذا انك قد سألتنا اى مسألة شئت فلم تكتمك شيئا فاخبرنا
ممن انت فقال ابو بكر من قريش فقال بخ بخ اهل الشرف والرئاسة
فاخبرنى من اى قريش انت قال من بنى تيم بن مرة قال افمنكم
قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع
قال ابو بكر لا قال افمنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

قال ابو بكر لا قال افمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضئ فى
الليلة الداجية مطعم الطير قال لا قال افمن المفيضين بالناس
انت قال لا قال افمن اهل الرفادة انت قال لا قال افمن اهل السقاية

انت قال لا قال افمن اهل الحجابة انت قال لا + قال اما والله لو شئت لاخبرتك لست من اشراف قريش فاجتذب ابو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب فقال الاعرابي

صادف دَرَّ السَّيلِ جَرْيُدَفْعَهُ ... فى هَضْبَةٍ تَرْفَعُهُ وتَضَعُهُ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي كرم الله وجهه فقلت يا ابا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة قال اجل يا ابا حسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق قال واتى الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن ابي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فامر بانزاله فبينا معاوية مع عمرو ابن العاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى ابي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم اذ قال معاوية قد اكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس لقصروا من اعنتكم فقال زياد وكيف ذاك يا امير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم في غرب منطقه ولا لنا في جواذ خنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو ما تقول في هذا الليل فابعث اليهما في غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى اجلكما وارفع قدر

كما عن المسامرة بالليل ولا سيما انت يا ابا محمد فانك ابن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة فشكر له فلما استويا
في مجلسهما على عمر ان الحدة ستقعد به فقال والله لابدات اتكلم
فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قُهرتُ اكون قد ابتدأت فقال
يا حسن انا قد تغاوضنا فقلنا ان رجال بني امية اصبر على اللقاء
وامضى في الوغاء واوفى عهدا واكرم خيما واصنع لما وراء ظهورهم
من بني عبد المطلب ثم تكلم مروان بن الحكم فقال كيف لا يكون
ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وهاربناهم فملكناهم فان شئنا
عفونا وان شئنا بطشنا ثم تكلم زياد فقال ما ينبغي لهم ان ينكروا
الفضل لاهله ويجحدوا الخير في مظانه نحن الحملة في الحروب
ولنا الفضل على سائر الناس قديمًا وحديثًا فتكلم الحسن بن علي
رضي الله عنه فقال ليس من الحزم ان يصمت الرجل عند ايراد
الحجة ولكن من الافك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب
في صورة الحق يا عمر افتخارا بالكذب وجراءة على الافك
ما زلت اعرف مثالبك الخبيثة ابديها مرة بعد مرة اتذكر
مصابيح الدجى واعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران
وابناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة

وزعمتم انكم احمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين
نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت
المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار
الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبي صلى الله عليه وسلم على فرارييكم
وكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من
بنى عبد المطلب ثم قال واما انت يا مروان فما انت والاكثار فى
قريش وانت ابن طليق وابوك طريد تتقلب فى خزاية الى سوأة
وقد أتى بك الى امير المؤمنين يوما لحمل فلما رأيت الضرغام قد
دميت براثنه واشتبكت انيابه كنت كما قال الاول

بصبصن ثم رمين بالابعار

فاما منّ عليك بالعفو وارخى خناقك بعد ما ضاق عليك
وغصصت بريقك لا تقعدن منا مقعد اهل الشكر ولكن تساوينا
وتجاريناونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد
وقال وما انت يا زياد وقريش ما اعرف لك فيها اديما صحيحا
ولا فرعا ثابتا ولا قدما ثابتا ولا منبتا كريما كانت امك بغيا
يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما ولدت لم تعرف لك
العرب والدا فادعاك هذا - يعنى معاوية - فمالك والافتخار

تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى سيد
المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعماى حمزة سيد الشهداء
وجعفر الطيار فى الجنة وانا واخى سيدا شباب اهل الجنة ثم التفت
الى ابن عباس فقال انما هى بغات الطير انقض عليها البازى +
فاراد ابن عباس ان يتكلم فاقسم عليه معاوية عن يكف فكف ثم
خرجا + فقال معاوية اجاد عمرو الكلام اولا لولا ان حجته دحضت
وقد تكلم مروان لولا انه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك
الى محاورته ما كنت الا كالحجل فى كنف العقاب + فقال عمرو +
افلا رميت من ورائنا + قال معاوية اذا كنت شريكك فى الجهل
انا فاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد
من مضى ومن بقى وامه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال
لهم + والله لئن سمع اهل الشام ذلك انه للسوأة السواء فقال
عمرو + لقد ابقى عليك ولكنه طعن مروان وزيادا طعن الرحا بثفالها
ووطئهما وطئ البازل القراد بنسمه + فقال زياد والله لقد فعل
ولكنك يا معاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لا شهدت
مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس
بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمى

والله مازال بحرك يزخر وانت تصول حتى شفيتني صرا وكلدا البغابا
ثم ان الحسن رضي الله عنه غاب اياما ثم رجع حتى دخل على معاوية
وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا ابا محمد انى اظنك
تعبا نصبا فات المنزل فارح نفسك فقام الحسن رضي الله عنه
فخرج فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فانت
ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولا بيك
في الاسلام نصيب وافر فقال ابن الزبير: انا له ثم جعل ليلته يطلب
الحجج فلما اصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه
فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت واكرم مستفاض
فلما استوى في مجلسه + قال له ابن الزبير لولا انك خوار في
الحروب غير مقدام ما سلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى
اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم
ببابه وكنت حريا ان لا تفعل ذلك وانت ابن علي في بأسه و
نجدته فما ادري ما الذي حملك على ذلك اضعف حال ام وهي
نخيزة ما اظن لك مخرجا من هذين الحالين اما والله لو استجمع
لي ما استجمع لك لعلمت انني ابن الزبير واني لا انكص عن الابطال
وكيف لا اكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب ابي الزبير

حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد الناس باسا واكرمهم
حسبا فى الجاهلية واطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فالتفت الحسن اليه وقال: اما والله لولا ان بنى امية تنسبنى الى
العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم
انى لست بالكليل الايادى تعيرو على تقتخر ولمرتك لجدك فى
الجاهلية مكرمة الا تزوجه صفية بنت عبد المطلب فبذخ
بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من فى القلادة
واسطتها وفى الاشراف ساداتها ومن اكرم اهل العرض زندا والنا
الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم انى سلمت الامر لمعاوية
فكيف يكون ويحك كذلك وانا ابن اشجع العرب والدتنى فاطمة
سيدة النساء وخيرة الامهات لم افعل ويحك ذلك جبنا و
لا فرقا ولكنه بايعنى مثلك وهو يطلب بثرة ويلاحينى المودة
فلم اثق بنصرته لانكم بيت غدر واهل احن وونر فكيف
لا تكون كما اقول وقد بايع امير المؤمنين ابوك ثم نكث بيعته
ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحوه الاعنة ورأى
بريق الاسنة فتل بمضيعة لا نصرله واتى بك اسيرا وقد طئنك

الكماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الاشتر فغصصت
بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث
فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الامة والينا تلقى
مقاليد الامور نصول وانت تختدع النساء ثم تفتخر على بنى الانبياء
لم تزل الاقاويل صنا مقبولة وعليك وعلى ابيك مردودة دخل
الناس فى دين جدى طائعين وكارهين ثم بايعوا امير المؤمنين
صلوات الله عليه فسار الى ابيك وطلحة حين نكثا للبيعة و
خلعا عاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل عند نكثهما
بيعته واتى بك اسيرا تتصبص بذنبك فناشدته الرحم لا يقتلك
فعفا عنك فانت عتاقة ابى وانا سيدك وابى سيد ابيك فذق
وبال امرك فقال ابن الزبير اعد نا يا ابا محمد فانما حملنى على
محاورتك هذا واشتهى الاغواء بيننا فهلا اذ جهلت امسكت
عنى فانكم اهل بيت سجيتكم الحلم قال الحسن يا معاوية انظر
الا كيع عن محاورة احد ويحك اتدرى من اى شجرة انا والى من
انتمى انتهى قبل ان اسمك بسمة يتحدث بها الركبان فى آفاق
البلدان قال ابن الزبير هو لذلك اهل فقال معاوية اما انه قد شفا
بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف

البازى يتلاعب بك كيف شاء فلا ادراك تفتخر على احد بعد هذا +
وذكروا ان الحسن بن على صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال
فى كلام جرى من معاوية فى ذلك -

فيمم الكلام وقد سبقت مبرزا سبق الجواد من المدى فى المقوس

فقال معاوية ايّاى تعنى والله لاتينك بما يعرفه قلبك ولاينكره
جلساؤك انا ابن بطحاء سلة انا ابن اجودها جودا واكرمها
ابوة وجدودا واوفاها عهودا انا ابن من ساد قريشا نا شئا فقال
الحسن اجل اياك اعنى افعلى تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء
وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب فى الشرف
الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه
سخط الرحمن فهل لك اب كابى او قديم كقديمى فان تقل لا تغلب
وان تقل نعم تكذب + فقال اقول لا تصديقا لقولك فقال
الحسن رضى الله عنه

الحقّ ابلج لا تزيغ سبيله والحقّ يعرفه ذوو الالباب

قال وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش
وغيرهم اخبرونى باكرم الناس اباء واما وعما وعمة وخالا وخالة
وجدّا وجدة + فقام مالك بن عجلان واومأ الى الحسن بن على

صلوات الله عليه فقال هو ذا ابوه علی بن ابی طالب امه فاطمة
بنت رسول الله صلی الله علیه وسلم وعمه جعفر الطیار وعمته
ام هانئ بنت ابی طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلی الله علیه
وسلم وخالته زینب بنت رسول الله صلی الله علیه وسلم وجده
رسول الله صلی الله علیه وسلم وجدته خدیجة بنت خویلد +
فسکت القوم ونهض الحسن فاقبل عمرو بن العاص علی مالك فقال +
احب بنی هاشم حملك علی ان تکلمت بالباطل + فقال ابن عجلان
ما قلت الا حقا وما احد من الناس یطلب مرضاة مخلوق بمعصیة
الخالق الا لم یعط امنیته فی دنیاه وختم له بالشقاء فی اخرته
بنوها شم انضرکم عودا وورا کم زندا کذلك هو یا معاویة +
قال اللهم نعم + قال واستأذن الحسن بن علی رضی الله عنه
علی معاویة وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فاذن
له فلما اقبل قال عمرو قد جاءکم الفهه الحی الذی کان بین لحییه
عقلة + فقال عبد الله بن جعفر مه والله لقد رمت صخرة
ملمامة تنحط عنها السیول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام
فایاك والحسن ایاك فانك لا تزال راتعا فی لحم رجل من قریش
ولقد رمیت فما برح سهمك وقدحت فما اوری زندك فسمع

الحسن الكلام فلما اخذ مجلسه قال يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس اما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتخرج منه الصدور ثم انشأ يقول ـ

اتأمرُ يا مُعاوِيَ عبدَ سَهْمٍ ... بِشَتْمِي والمَلا منّا شُهُودُ
اذا اخذتْ مجالسَها قُرَيشٌ ... فقد عَلِمتْ قُرَيشٌ ما تُرِيدُ
الستَ تظَلُّ تَشتُمُنِي سِفاهًا ... لِضَغْنٍ ما يَزُولُ ولا يَبِيدُ
فهلّى لك مِن ابٍ كابنِ تُسامِي ... بهِ مَن قد تُسامِي او تَليدُ
ولا جدٌّ كجَدِّي يا ابنَ حَرْبٍ ... رسولُ اللهِ انْ ذُكِرَ الحُدُودُ
ولا اُمٌّ كامّي مِن قُرَيشٍ ... اذا ما حُصِّلَ الحَسَبُ التّليدُ
فما مِثْلِي تُهُكِّمُ يا ابنَ حَرْبٍ ... ولا مِثْلِي يُتَهْنِهُهُ الوَعِيدُ
فَمَهْلًا لا تَهِجْ منّا اُمورًا ... يَشِيبُ لهولِها الطفلُ الوَليدُ

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الى الحسن بن علي فامره ان يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك ما نعيره به فبعث اليه معاوية فامره ان يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا الحسن بن علي بن ابي طالب ابن عم النبي انا ابن البشير النذير السراج المنير انا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين

انا ابن من بُعثت الی الجن والانس انا ابن مستجاب الدعوة انا ابن
الشفیع المطاع انا ابن اول من ینفض راسه من التراب انا ابن اول
من یقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائکة ونصر بالرعب
من مسیرة شهر وامعن فی هذا الباب ولم یزل حتی یظلمت الارض
علی معاویة فقال یا حسن قد کنت ترجو ان تکون خلیفة ولست
هناك + قال الحسن انما الخلیفة من سار بسیرة رسول الله صلی
الله علیه وسلم وعمل بطاعته ولیس الخلیفة من دان بالجور و
عطل السنن واتخذ الدنیا اباً واماً ولکن ذلك ملك اصاب ملکاً
یمتع به قلیلا ویعذب بعده طویلاً وکان قد انقطع عنه واستعجل
لذته وبقیت علیه التبعة فکان کما قال الله تعالی (وان ادری لعله
فتنة لکم ومتاع الی حین) ثم انصرف + فقال معاویة لعمرو
ما اردت الا هتکی ما کان اهل الشام یرون احداً مثلی حتی سمعوا
من الحسن ما سمعوا + قال وقدم الحسن بن علی رضی الله عنه علی
معاویة فلما دخل علیه لوجد عنده عمرو بن العاص ومروان
ابن الحکم والمغیرة بن شعبة وصنادید قومه ووجوه اهل بیته
ووجوه اهل الیمن واهل الشام فلما نظر الیه معاویة اقعده علی
سریره واقبل علیه بوجهه یرید السرور به وبقدومه فحسده مروان

وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلدا كم
العار عند اهل الشام (يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله
ابن عباس) فقال مروان يا حسن لولا حلم امير المؤمنين وما قد
بناه له اباؤه الكرام من المجد والعلا ما اقعدك هذا المقعد ولقتلك
وانت لهذا تستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت ان لا طاقة
لك بفرسان اهل الشام وصناديد بني امية اذعنت بالطاعة واحتجزت
بالبيعة وبعثت تطلب الامان اما والله لو ذلك لا راق دمك و
علمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية
وعفا عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن وقال ويلك
يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها
والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك امك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم
ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار
فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني امية وتزعم انهم صبر في الحرب
اسد عند اللقاء تكلتك الثواكل ولئك البهاليل السادة والحماة
الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم
انت وجميع من في المجلس ما حالتهم الاهوال ولا هادوا عن
الابطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا

واخذت اسيرا فقلدت قومك العار لانك فى الحروب خوار التعريق
دمى فهلا اهرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما يذبح
الجمل وانت تشغو تغاء النعجة وتنادى بالويل والثبور كالمرأة
الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت
فرائصك وغشى بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فأنجيتك
من القتل ثم جعلت تبحث عن دمى وتغض على قتلى ولو رام ذلك معاوية معك
لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه اقصر يدا وضيق باعا وجبن قلبا من ان تجسر على
ذلك ثم تزعم انى بتليت بحلم معاوية اما والله لهو اعرف بشأنه واشكر لنا اذ ولينا
هذا الامر فمتى بدأ له فلا يغضبن جفنه على القذى معك فوالله لا عنفن
اهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل قوسانه ثم لا ينفعك عند ذلك
الروغان والهرب ولا تنتفع بتدبير بحلك الكلام فمحن من لا يجهل اباؤه
لكرام القدماء الاكابر وفرعنا السادة الاخيار والافاضل ان كنت
صادقا فقال عمرو: ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ثم انشأ يقول

قد يضرط العير والمكواة ناخذة ... لا يضرط العير والمكواة فى النار

ذق وبال امرك يا مروان فاقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك
عن هذا الرجل وانت تابى الا انهماكا فيما لا يعنيك اربع على نفسك
فليس ابوه كابيك ولا هو مثلك انت ابن الطريد الشريد وهو

ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن
حتفه بظلفه فقال مروان ارمدون بيضتك وتمم بجحة عشيرتك
ثم قال لعمرو لقد طعنك ابوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها
ثنيت اعنتك وقام مغضبا * فقال معاوية لا تجار البحار فتغمرك
ولا الجبال فتقهرك واستراح من الاعتذار قال ولقى عمرو بن العاص
الحسن بن على عليهما السلام فى الطواف فقال يا حسن ازعمت ان
الدين لا يقوم الا بك وبابيك فقد رأيت الله اقامه بمعاوية فجعله
ثابتا بعد ميله وبينا بعد خفائه افيرضى الله قتل عثمان ام من الحق
ان تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرق
البيض وانت قاتل عثمان والله انه لالم للشعث واسهل للوعث
ان يوردك معاوية حياض ابيك فقال الحسن صلوات الله عليه ان
لاهل النار علامات يعرفون بها وهى الالحاد فى دين الله والموالاة
لاعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان علميا
لم يتريث فى الامر ولم يشك فى الله طرفة عين وايم الله لتنتهين
يا ابن العاص او لاقرعن قصتك - يعنى جبينه - بقراع وكلام ايالك
والجراءة على فانى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة
يعنى العظم ولا بمرئ المأكلة وانى لمن قريش كاوسط القلادة عرق

حسبى لا ادعى لغير ابى وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب
عليك الامها حسبًا واعظمها لعنة فاياك عنى فانما انت ونحن اهل بيت
الطهارة اذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا + قال واجتمع الحسن
ابن على صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت
قريش باسرها انى منها فى عزأروم منها لم الطبع على ضعف ولم اعكس
على خسف اعرف نسبى وادعى لابى : فقال عمرو وقد علمت قريش
انك ابن اقلها عقلاً واكثرها جهلا وان فيك خصالاً لو لم يكن فيك
الا واحدة منها لشملك خزيها كما شمل البياض لحالك وايم الله لئن
لو تنته عما اراك تصنع لاكبسنّ لك حافة كجلد العائط اذا اعتاطت
رحمها فما تحمل ارميك من خلفها باحر من وقع الاثافى اعرك منها
اديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت فى اعراض
الوعر التماسًا للفرقة وارصادًا للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا نظاعة
فقال الحسن اما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت
فج قصد ولا حللت راية مجد اما والله لو اطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة
العدو الكاشح فانه طالما تاخرشأوك واستبرد اؤك وطمح بك
الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها
رعيك اما والله لتوشكنّ يا ابن العاص ان تقع بين لحيى ضرغام

ولا ينجيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان + ابن المنذر عن ابيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين ابن علي رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال اصبحت والله كما قال الشاعر -

يالكِ سِنَّ قُنْبُرَةٍ بمَعْمَرِ ... خَلَا لَكِ الجَوُّ فبِيضِي واصفِرِي
ونَقِرِي ما شئتِ ان تُنقِّرِي ... قد ذَهَبَ الصَّيَّادُ عنكِ فابشِرِي
لا بُدَّ مِن اخذِكِ يوماً فاصبري

خلت الحجاز من الحسين بن علي واقبلت تهدر في جوانبها + فغضب ابن الزبير وقال: والله انك لترى انك احق بهذا الامر منك + فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان في حال شك واما من ذلك على يقين + قال وبأي شيء استحق عندك انك بهذا الامر احق مني + فقال ابن عباس: لانا احق بمن يُدَلُّ بحقه وبأيّ شيء استحق عندك انك احق بها من سائر العرب الا بنا + فقال ابن الزبير: استحق عندي اني احق بها منكم لشرف عليكم قديماً وحديثاً + فقال انت اشرف ام من شرفت به + فقال: ان من شرفت به زادني شرفاً الى شرفي + قال: فمني الزيادة ام منك + فتبسم ابن عباس

فقال ابن الزبير: يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت والله يا بني هاشم لا تحبوننا ابدًا، قال ابن عباس: صدقت نحن اهل بيت مع الله لا نحب من ابغضه الله، قال يا ابن عباس اما ينبغي لك ان تصفح عن كلمة واحدة، قال انما يصفح عمن اقر واما من هرّ فلا والفضل لاهل الفضل قال ابن الزبير: فاين الفضل، قال عند اهل البيت لا تصرفه عن اهله فتظلم ولا تضعه في غير اهله فتندم، قال ابن الزبير: افلستُ من اهله + قال: بلى ان نبذت الحسد لزمت الجدد + وانقضى حديثهما، وروى عن ابن عباس انه قال: قدمت على معاوية وقد تعد على سريره وجمع من بني امية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال: يا ابن عباس من الناس + فقلت نحن + قال: فاذا غبتم + قلت: فلا احد + قال: فانك ترى اني قعدت هذا المقعد بكم + قلت: نعم فبمن قعدت + قال بمن كان مثل حرب بني امية + قلت: من كفأ عليه اناءه واجاره بردائه + قال فغضب وقال ارحني من شخصك شهرا فقد امرتك بصلتك واضعفتها لك + فلما خرج ابن عباس قال لخاصته: الا تسألوني ما الذي اغضب معاوية + قالوا بلى فقل بفضلك + قال ان اباه حربا لم يبق احدا من رؤساء

قريش فى عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تميم فى عقبة فتقدمه التميمى فقال حرب انا حرب بن امية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمى ثم اراد دخول مكة فقال من يجيرنى من حرب بن امية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب اجلُّ قدرًا من ان يجير على حرب فاتى ليلا الى دار الزبير ابن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد اجبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه + فقال التميمى

لاقيتُ حَرْبًا فى الثَّنِيَّةِ مُقْبِلاً ... والصُّبْحُ ابلجَ ضَوْءُهُ للسارِى
فدعا بصوتٍ والكتى لِيَرُوعَنى ... وسَمَا علىَّ سُمُوَّ ليثٍ ضارِى
فتركْتُهُ كالكلبِ يَنْبَحُ ظِلَّهُ ... واتيتُ قَرْمَ معالمٍ وفخارِى
لَيثًا هِزَبرًا يُستجارُ بعِزِّهِ ... رَحْبَ المُباءَةِ مُكرِمًا للجارِ
ولقد حلفتُ بمكّةٍ وبزمزمٍ ... والبيتِ ذى الاحجارِ والاستارِ
انّ الزُّبَيرَ لمانعى من خوفِهِ ... ما كبَّرَ الحُجّاجُ فى الامصارِ

فقدّمه الزبير واجاره ودخل به المسجد فراه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربًا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال اجرنى من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان هاشم

يطعم فيها الناس فبقى تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف اخرج
وعلى الباب تسعة من بنيك قد اجتبوا بسيوفهم فالقى عليه رداءً
كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرّتان خضراوان فخرج
عليهم فعلموا انه قد اجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه + قال وحضر
مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم
رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير
مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخى
العيش اخاذ بالسلف منفاق بالسرف، فقال ابن عباس كذبت
والله انت وليس كما ذكرت ولكنه الله ذكور ولنعمائه شكور وعن
المختار نحوى جواد كريم سيد حليم اذا رمى اصاب واذا سئل اجاب
غير حصر ولا هياب ولا عيّابة مغتاب حلّ من قريش فى كريم
النصاب كالهزبر الضرغام الجرئ المقدام فى الحسب القمقام
ليس بدعى ولا دنئ لاكمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب
عليه جزّارها فاصبح لامها حسبا وادناها منصبًا ينوء منها بالذليل
ويأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين
المهديين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه
فليت شعرى باى قدر تتعرض للرجال وباى حسب تعتد به

عند النضال أبنفسك وانت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم
أم بمن تنمى اليهم وهم اهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف
فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير
لسانك وتنطق بالزور فى غير اقرانك والله لكان ابن الفضل و
ابعد للعدوان ان ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما
ساس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر
فيها ذعيك ولم يورق فيها غصنك، فقال عبد الله بن جعفر اسمت
عليك لما اسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضحت، فقال ابن عباس
دعنى والعبد فانه قد بهدر خاليًا ولا يجد ملاحيًا وقد اتيح له
ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس، فقال ابن العاص
دعنى يا امير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئًا، قال
ابن عباس دعه فلا يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد
وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقد ما قد قرعت قارعونى فما نزر الكلام ولا شجانى
يصك الشاعر العراف عنى صدود البكر عن قرم هجان

قال وبلغ عاتكة بنت[1] عاتم قتلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم

[1] هكذا فى الاصل وفى نسخة عاتكة بنت عاتم وفى المسامرات غاتكة بنت غانم

فقالت لاهل مكة ايها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت و
ملكت وفضلت وفضلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كذرعيب
ولا افك ريب ولا خسر واطاغين ولا خازين ولا نادمين ولا هم من
المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم اطول الناس باعا و
امجد الناس اصلا واعظم الناس حلما واكثر الناس علما وعطاء منا
عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانت قُرَيشٌ بَيضَةً فَتَفَلَّقَتْ فالمُخُّ خالِصُها لِعَبدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه وفيه يقول الشاعر

عَمرُو العُلا هَشَمَ الثَّريدَ لِقَومِهِ ورِجالُ مَكَّةَ مُسنِتُونَ عِجافُ

ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث ٭ وفيه يقول ابو طالب

ونحنُ سُنِيُّ المَحلِ قامَ شَفِيعُنا بِمكَّةَ يَدعو والمِياهُ تَغورُ

وابنه ابو طالب عظيم قريش ٭ وفيه يقول الشاعر

اَتَيتُهُ مَلِكًا فقامَ بِحاجَتي وتَرى لِعُلَيبِهِ خائِبًا مَذمُومًا

ومنا العباس بن عبد المطلب اردفه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رَسولِ اللهِ لم تَرَ مِثلَهُ ولا مِثلُهُ حتى القِيامَةِ يُولَدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر

عند النضال أبنفسك وانت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم
امر عبن تنمى اليهم وهم اهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف
فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير
لسانك وتنطق بالزور فى غير اقرانك والله لكان ابين للفضل و
ابعد للعدوان ان ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما
ساس داؤك وطمح بك زجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر
فيها ذعيك ولم يورق فيها غصنك، فقال عبد الله بن جعفر انصت
عليك لما اسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوغلت، فقال ابن عباس
دعنى والعبد فانه قد هدر خاليًا ولا يجد ملاحيًا وقد اتيح له
ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس، فقال ابن العباس
دعنى يا امير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئًا، قال
ابن عباس دعه فلا يبقى للمبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد
وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقد ما قد قرعت فارعونى فما نزر الكلام ولا شجانى
يعضّ الشاعر العراف عنى صدود البكر عن قرم هجان

قال وبلغ عائمة بنت عائم[1] ثلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم

[1] هكذا فى الاصل وفى نسخة عائمة بنت عائم وفى المسامرات غائمة بنت غائم ١٢

فقالت لاهل مكة ايها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت و
ملكت وفضلت وفضلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كذب
ولا افك ريب ولا خسر واطاغين ولا خازين ولا نادمين ولا هم من
المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم اطول الناس باعا و
امجد الناس اصلا واعظم الناس حلما واكثر الناس علما وعطاء منا
عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانت قُرَيشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ ... فالمُخُّ خالِصُهَا لِعَبْدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه وفيه يقول الشاعر

عَمْرُو العُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ

ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث + وفيه يقول ابو طالب

ونحنُ سُنِيُّ المَحْلِ قامَ شَفِيعُنا ... بِمَكَّةَ يَدْعُو والمِياهُ تَغُورُ

وابنه ابو طالب عظيم قريش + وفيه يقول الشاعر

اَتَيْتُهُ مَلِكًا فقامَ بِحاجَتِي ... وَتَرَى لِطَيْبِ خَائِبًا مَتْبُورًا

ومنا العباس بن عبد المطلب اردفه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رَسُولِ اللهِ لم تَرَ مِثْلَهُ ... وَلا مِثْلُهُ حتى القيامةِ يُولَدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر

ابا يعلى بك الاركان هُدّت وانت الماجد البرّ الوصول

ومنا جعفر ذو الجناحين احسن الناس حالا واكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان ابدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة وفيه يقول الشاعر

هاتوا الجعفر نا ومثل عليّنا كانا اعزّ الناس عند الخالق

ومنا ابو الحسن على بن ابى طالب صلوات الله عليه افترس بنى هاشم واكرم من احتبى وانتعل وفيه يقول الشاعر

علىٌّ الفَ الفُرقانَ صُحفًا ووالى المُصطفى طِفلًا صَبِيًّا

ومنا الحسن بن علىّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة وفيه يقول الشاعر

يا اجلّ الانامِ يا ابن الوصِيّ انتَ سبط النبيّ وابنِ علىّ

ومنا الحسين بن على حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخرا وفيه يقول الشاعر

حُبُّ الحُسينِ ذخيرةٌ لمُحِبّه يا ربُّ فاحشُرنى غدًا فى حِزبه

يا معشر قريش والله ما معاوية كامير المؤمنين على ولا هو كما يزعم هو والله سنائ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى اتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وانينه فكتب

عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه انها قربت منه امر بدار ضيافة
فنظفت والقى فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى
حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة اتت دار اخيها عمرو بن عاص ثم
فقال لها يزيد ان ابا عبد الرحمن يامرك ان تنتقلى الى دار ضيافته
وكانت لا تعرفه فقالت من انت كلأك الله قال انا يزيد بن معاوية
قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد فتغيرلون يزيد واتى
اباه فاخبره فقال هى اسن قريش واعظمهم حلمًا ٭ قال يزيد ٭ كم
تعد لها قال كانت تُعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعمائة عام وهى من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية
فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام
ثم قالت افيكم عمرو بن العاص قال عمرو ها انا ذا قالت انت تسب قريشًا
وبنى هاشم وانت اهل السب وفيك السب اليك يعود السب يا عمرو
انى والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب امك وانى اذكر ذلك ٭
ولدت من امة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها
اللئام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها انفذ من نطفته ركبها فى
يوم واحد اربعون رجل واما انت فقد رايتك غاويا غير مرشد
ومفسدًا غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك

فما غررت ولا انكرت راءا انت يا معاوية فما كنت فى خير ولا ربيت فى نعمة فمالك وبنى هاشم انسا ؤك كنسا هم اما اعطى امية فى الجاهلية والاسلام ما اعطى هاشم وكفى فخرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية ايتها الكبيرة انا كاف عن بنى هاشم قالت فانى اكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه ان يستجيب له خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية فحلف ان لا يسب بنى هاشم ابدا فهذا ما كان بين معاوية وبين بنى هاشم من المفاخرة قال وكان على بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك ابن مروان فاخذ عبد الملك يذكر ايام بنى امية فبينا هو على ذلك اذ نادى المنادى بالاذان فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال على۔

هذى المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

فقال عبد الملك الحق فى هذا ابين من ان يكابر على بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضى فقال يا على من اشعر الناس فى زمانا قلت البحترى قال وبعده قلت مروان بن ابى حفصة عبدك فالتفت الى الرضى فقال يا ابن عم من اشعر الناس قال على بن محمد العلوى قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمط خدود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل ما معنى قوله - نداء الصوامع - قال الشهادة قال وابيك انها اشعر الناس ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله ايضا

بلغنا السماء بآنسابنا ... ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد اننا ... بحسن البلاء كشفنا البلاء
اذا ذكر الناس كنا ملوكا ... وكانوا عبيدا وكانوا اماء
يطيب الثناء لآبائنا ... وذكر علي يطيب الثناء
هجانى رجال ولم اهجهم ... ابى الله لى ان اقول الهجاء

وقال آخر

وانى من القوم الذين عرفتهم ... اذا مات منهم سيد قام صاحبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جوارهم فطن

ضده

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آباءكم الذين ماتوا فى الجاهلية + قال وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشيجة بأقذار وقال بعضهم لرجل اتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار + وروى عن ابن عباس انه قال الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم لربهم يقيناً وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة وقيل فى ذلك

يَزِينُ الفَتى فى النّاسِ صِحّةُ عَقْلِهِ ... وان كانَ محظُوراً عليهِ مكاسِبُه
وشَينُ الفَتى فى النّاسِ قِلّةُ عَقْلِهِ ... وان كَرُمَتْ آباؤُهُ ومَناسِبُه

وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال وما اقول فيمن ان جاع ضرع وان شبع بغى وطغى + وقال بعض الحكماء: لا يكون الشرف بالنسب الا ترى ان اخوين لاب وام يكون

احدهما اشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لاحد منهم على الآخر فضل لان نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر

ابوك ابي والجد لا شك واحد ولكننا عودان اس وفرع

وبلغنا عن المدائني انه قال ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الاحنف ابن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برايه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد ابن منجوف بعطفه على اراذل قومه وساد المهلب بن ابي صفرة بجميع هذه الخصال * واما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتاه اعرابي فقال بابي انت وامي يا رسول الله من اكرم الناس حسبا قال احسنهم خلقا وافضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردوه ثم قال يا اعرابي لعلك اردت اكرم الناس نسبا قال نعم يا رسول الله قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هولاء الاباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد ابدا * وقال الشاعر في ذلك

ولم ار كالاسباط ابناء والد ولا كابيهم والدا حين ينسب

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم بانا نتسب له فقال انا ابن الاشياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت اذًا يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله او اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال + قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتًا و لفظًا بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالًا وصهيبًا وسلمان فادخلهم وكان ابوسفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوسًا على الباب فقال يا معشر قريش انتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشي وفارسي ورومي فقال سهيل يا ابا سفيان انفسكم فلوموا ولا تلوموا امير المؤمنين دعي القوم فاجابوا ودعيتم فابيتم وهم يوم القيامة اعظم درجات واكثر تفضيلا فقال ابوسفيان لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفًا **فاما صناعات الاشراف** فانه روى ان ابا طالب كان يعالج العطر والبز واما ابوبكر وعمر

وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين وكان سعد بن
ابى وقاص يعذق النخل + وكان اخوه عتبة نجارا وكان العاص
ابن هشام اخو ابى جهل بن هشام حزازا + وكان الوليد بن المغيرة
خلادا + وكان عقبة بن ابى معيط خمارا + وكان عثمان بن طلحة
صاحب مفتاح البيت خياطا + وكان ابو سفيان بن حرب يبيع
الزيت والادم + وكان امية بن خلف يبيع البرم + وكان عبد الله
ابن جدعان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل +
وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان
وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين + وكان المسيب
ابو سعيد زياتا وكان ميمون بن مهران بزازا وكان سالك بن
دينار وراقا + وكان ابو حنيفة صاحب الرأى خزازا وكان
مجمع الزاهد حائكا + قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره
بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان
مرو: هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك فقال قتيبة ابى كان
اشتربان وكان ابو يزيد بستانبان فمنها صار ذلك كذلك قال
وذكروا ان المامون ذكر اصحاب الصناعات فقال السوقة سفل
والصناع اذناب والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس

اربعة اصناف الحرث وهو امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم

محاسن الثقة بالله سبحانه وتعالى

قيل خطب سليمان بن عبد الملك فقال الحمد لله الذى انقذنى من ناره بخلافته + وقال الوليد بن عبد الملك لا شفعن للحجاج ابن يوسف وقرة بن شريك عند ربى + وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مهما ارجوا الخير كله الا بعد الموت والله مارضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه ابليس لعنه الله اذ قال ورب انظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذى اجارنى بخلافته انقذنى من النار بها + وحدثنى ابراهيم بن عبد الله عن انس بن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند راسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمى لامر الله واحتسبى + قالت امات ابنى قال نعم + قالت احق ما تقولون + قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى اسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء ان تغيثنى عند كل شدة

فلا تحملني هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

ضدّه

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه + يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في اربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيئ الظن يخاف خذلان الله اياه فاما المنزلة الاولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا اخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه اكراهًا ويُوجر ايجارًا حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من ابويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ما تاعطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع في المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشي ان لا يرزق فيثب على الناس فيغون اموالهم ويسرق امتعتهم ويغصبهم اموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه -

محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم اخره العجز + وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم احدث لي سفرًا احدث لك رزقًا ✦ وفي بعض الحديث سافروا تغنموا ✦ وقال الكميت ابن زيد الاسدي ـ

ولن يُزيح هُمومَ النفسِ ان حَضَرتْ ... حاجاتُ مثلِكَ الا الرَّحْلُ والجَمَلُ

وقال ابو تمام الطائي ـ

وطُولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيباجَتَيهِ فاغتَرِبْ تتجدَّدِ

فاني رايتُ الشمسَ زِيدتْ مَحبَّةً ... الى الناسِ ان ليستْ عليهم بسرمَدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنئ عيال ✦ وانشد

فسِرْ في بلادِ الله والتمسِ الغِنى ... تَعِشْ ذا يسارٍ وتموتَ فتُعذَرا

ولا تَرْضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيفَ يَنامُ الليلَ مَن كان مُعسِرا

وتقول العامة كلب جوّال خير من اسد رابض ✦ وتقول من غلى دماغه صاقعًا غلت قدره شاتيًا ✦ ووقع عبد الله بن طاهر من سعي دعي ومن لزم المنام رأى الاحلام ✦ هذا المعنى سرقه من توقيعات انوشروان فانه يقول هرك روذ جَرَد هركه خسيد خواب بيند ✦ وانشد

كفى حَزَنًا ان النوى قَذفت بنا ... بعيدًا وان الرزقَ اعيتْ مذاهبه

ولو اننا اذ فرّق الدّهر بيننا ... غِنى واحدٍ منا تموّل صاحبُه
ولكننا من دهرنا فى مؤونةٍ ... يُكابِدُنا طَوْرًا وطَوْرًا نُكابِدُه

وقال اخر

ومن يكُ مِثلى ذا عِيالٍ ومُقترًا ... مِنَ المالِ يَطْرَحْ نفسَهُ كلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا او يَنالَ غنيمةً ... ويُبلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثلُ مُنجِحِ

وقال اخر

وليسَ الرِّزقُ عن طَلَبٍ حَثيثٍ ... ولكنِ ادْلُ دَلوَكَ فى الدّلاءِ
تَجِئْكَ بملئِها حِينًا وطورًا ... تجئُ بحَمْأَةٍ وقليلُ ماءِ

ضده

قيل وجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو ارجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس نارًا فنودى بالنبوّة ✣ وبلغنا عن ابن السّماك انه قال لا تشتغل بالرّزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولًا بما انت مسؤول عنه غدًا واياك والفضول فان حسابها يطول ✣ قال الشاعر

انى عَلِمتُ وعِلْمُ المرءِ يَنْفَعُه ... انّ الذى هو رِزْقٌ سوف يأتينى
اسعى لهُ فيُعَنّينى تَطَلُّبُهُ ... ولو قَعَدْتُ اتانى لا يُعَنّينى

وقال اخر

لَعَمْرُكَ ما كُلُّ التَّعَطُّلِ ضائرٌ ... ولا كُلُّ شُغْلٍ فيهِ للمرءِ مَنْفَعَه
اذا كانتِ الارزاقُ في القربِ والنوى ... عليكَ سواءً فاغتنِمْ لذّةَ الدّعَه

وقال اٰخر

سَهِّلْ عليكَ فانّ الرزقَ مَقْدُورُ ... وكلُّ مُستأنفٍ في اللوحِ مَسطورُ
انّى القضاءُ بما فيهِ لِمُدَّتِهِ ... وكلُّ ما لم يكن فيهِ فمحظورُ
لا تكذِبَنَّ فخيرُ القولِ اصدقُهُ ... انّ الحريصَ على الدنيا لمغرورُ

وقال اٰخر

لا تعتبَنَّ على العبادِ فانما ... يأتيكَ رزقُكَ حينَ يُؤذَنُ فيهِ

وقال اٰخر

هيَ المقاديرُ تجري في اعنّتِها ... فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يومًا ترينُ خسيسَ القومِ ترفعُهُ ... دونَ السّماءِ ويومًا تخفضُ العالي

وقال اٰخر

اِصبرْ على زَمَنٍ جَمٍّ نوائبُهُ ... فليسَ من شِدَّةٍ اِلّا لها فَرَجُ
تلقاهُ بالاَمسِ في عَمياءَ مُظلمةٍ ... ويُصبحُ اليومَ قد لاحتْ لهُ السُّرُجُ

وقال اٰخر

الا رُبَّ راجٍ حاجةٍ لا ينالُها ... واٰخرَ قد تُقضى لهُ وهوَ اٰيِسُ
يؤمّلُ لها هذا وتُقضى لغيرِهِ ... فتأتي الذي تقضى لهُ وهوَ ياٰسُ

وقال اخر

فلما انْ عُنِيتُ بما الاقى ... وآعيتنى المسائلُ بالقُروضِ

دَعَوْتُ اللهَ لا ارجو سِواهُ ... ورَبُّ العَرْشِ ذُو فَرَجٍ عريضِ

وقال اخر

ياصاحبَ الهَمِّ ان الهَمَّ مُنْفَرِجٌ ... ابشِرْ بخيرٍ كان قد فَرَّجَ اللهُ

اليأسُ يقطعُ احيانًا بصاحبِهِ ... لا تيأسَنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ

اذا ابتُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بِهِ ... انّ الذى يكشِفُ البَلْوى هو اللهُ

وقال اخر

واذا تُصِبْكَ من الحوادثِ نَكْبَةٌ ... فاصبرْ فكلُّ بليّةٍ تتكشّف

محاسن المواعظ

قال الاصمعى حججت فنزلت ضرية فاذا اعرابى قد كوّر عمامته على راسه وقد تنكب قوسًا فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انما الدنيا دار ممر والاخرة دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم ۞ اما بعد فانه لن يستقبل احد يومًا من عمره الا بفوات آخر من اجله فاستعجلوا لانفسكم ما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوىّ اقوى من خالق ولا ضعيف اضعف

من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ٭ وقال بعض الاعراب ان الموت ليقتحم على بنى آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب اغتم من الموت ومن غطف عليه الليل والنهار اردياه ومن وكل به الموت افناه ٭ وقال اعرابى كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا ارى احدًا الا استدركه الموت ٭ وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده ان يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف ياسى المرء على ما فاته والموت يطلبه ٭ وقال كسرى لم يكن من حق علمه ان يقتل وانى لنادم على ذلك[1] قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة وليسكن قبرا موحشا بغير انيس

[1] هكذا فى الاصل وفى العبارة نقص فليس ر ١٢

ضده

قيل: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع ابوه عليه جزعًا شديدًا فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعرًا يعزيني به او واعظ يخفف عني فاتسلى به + فقال رجل من اهل الشام يا امير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بان يموت او بان يذهب الى مكان + فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال: مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة + واصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال: ليت اني وجدت انسانًا يخفف عني مصيبتي + فقال له الرسول: اقول + قال: قل + قال: كل انسان مفارق صاحبه بموت او بصلب او بنار تقع عليه من فوق البيت او يقع عليه البيت او يسقط في بئر او يغشى عليه او يكون شيء لا يعرفه + فضحك الحجاج وقال مصيبتي في امير المؤمنين اعظم حين وجه مثلك رسولا۔

محاسن فضل الدنيا

قال علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه: الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مسجد انبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر اوليائه يكسبون فيها

الرحمة ويرجون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد اذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفا وتحذيرا وترغيبا وترهيبا فيا ايها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك احباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال: يا اهل الثراء والعز الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر: والله لو اذن لهم لاجابوا بان خير الزاد التقوى * وانشد

ما احسن الدنيا واقبالها ... اذا اطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها ... عرض للادبار اقبالها

قال ابو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه * وقال الحسن البصري بينا انا اطوف بالبيت اذا انا بعجوز متعبدة

فقلت: من انت + فقالت من بنات ملوك غسان + قلت فمن اين طعامك + قالت اذا كان اخر النهار جاءتني امرأة متزينة فتضع بين يدي كوزا من ماء ورغيفين + قلت لها اتعرفينها + قالت اللهم لا + قلت هي الدنيا خدمت ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا لتخدمتك -

ضده

زعموا ان زياد بن ابيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا فقيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها كلمي الامير + فقالت اوجزا ام اطيل + قال بل اوجزي + قالت كنا اهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض احد اعزّ منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا قال فما مربها بارساق من شعير + فقالت اطعمتك يد شبعاء جاءت ولا اطعمتك يد جوعاء شبعت + فسر زياد بكلامها فقال لشاعره قيد هذا الكلام ليدرس + فقال -

سَلِ الخيرَ اهلَ الخيرِ قِدمًا ولا تَسَلْ فتًى ذاقَ طَعمَ الخيرِ مُنذُ قَريبِ

ويقال ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة

بنت النعمان فالفاها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت ما من دار امتلأت سرورًا الا امتلات بعد ذلك ثبورًا ثم قالت ـ

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فاف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

قال وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن ابي وقاص : لاجعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المنن في اعناق الكرام ولا ازال بك عن كريم نعمة ولا ازالها بغيرك الا جعلك سببا لردها عليه قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي اي الزمان ادركت افضل واي ملوكه اكمل قال اما الملوك فلم ار الا ذامًا وحامدا واما الزمان فرفع اقوامًا ووضع اخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الامل قال فاخبرني عن فهم قال هم كما قال الشاعر

دَرَجَ اللَّيلُ والنَّهارُ على فَهْمِ بنِ عَمرٍو فاَصبَحوا كالرَّميمِ

وسَلَبْنَ دارَهم فأَضحَتْ قِفارًا ... بعدَ عِزٍّ وثَرْوَةٍ ونَعيمِ

وكذاكَ الزمانُ يَذْهَبُ بالنا ... سِ وتَبقى دِيارُهم كالرُّسُومِ

قال فمن يقول منكم

رأيت النّاسَ مُذْ خُلِقُوا وكانوا ... يُحِبُّونَ الغَنِيَّ مِنَ الرِّجالِ
وان كانَ الغَنِيُّ اقلَّ خيرًا ... بخيلا بالقَليلِ من النَّوالِ
فلا ادرى علامَ وفيمَ هذا ... وما ذا يَرْتجون من المحال
اللدُّنيا فليسَ هناكَ دُنيا ... ولا يُرْجَى لحادِثةِ الليالى

قال انا وقد كتمتها + قال ولما دخل على صلوات الله عليه المدائن فنظر الى ايوان كسرى انشد بعض من حضره قول الاسود بن يعفر

ماذا اَمَّلُ بعدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تركوا منازلهم وبعدا يادِ
اهل الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ ... والقَصْرِ ذى الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ
نزلوا بأَنْقَرَةٍ يَسيلُ عليهمُ ... ماءُ الفُراتِ يَجِئُ من اطْوادِ
ارضٌ تَخَيَّرَها الطبيب نَسيبها ... كَعْبُ بنُ مامَةَ وابنُ امِّ دُوَّادِ
جَرَتِ الرِّياحُ على محلِّ دِيارِهِم ... فكانما كانوا على ميعادِ
فاذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهَى بهِ ... يومًا يَصيرُ الى بلًى ونفادِ

وقال على صلوات الله عليه ابلغ من ذلك قول الله تعالى كم تركوا من جنات وعيونٍ وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قومًا آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين، وقال عبد الله بن المعتز اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام وقال غيره طلاق الدنيا مهور الجنة +

وذكروا ان اعرابيًا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب ✦ وقال آخر الدنيا لا تمتعك بصاحب ✦ قال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها ✦ وقال اذا اقبلت الدنيا على امرئ اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه وقال الشاعر

ايا دُنيا حَسَرْتِ لنا قِناعًا ... وكان جمالُ وجهكِ فيه نقابُ
ديارٌ طالما حُجِبَتْ وعزّتْ ... فاصبحَ اذ نُهاسَهُلَ الحجابِ
وقد كانتْ لنا الايامُ ذُلّتْ ... فقد قَرِنَتْ بايّامٍ صِعابِ
كأنّ العيشَ فيها كانَ ظِلًّا ... يُقَلّبُهُ الزمانُ الى ذَهابِ

قال الاصمعي وجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قبة مكتوبًا

ومَنْ يَحْمِدِ الدنيا لشيءٍ يَسُرُّهُ ... فسوفَ لَعَمْرِي عن قريبٍ يلومُها
اذا ادبرتْ كانت على المرءِ حَسْرَةً ... وان اقبلتْ كانت كثيرا همومُها

وكان ابراهيم بن ادهم ينشد

نُرَقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ دينِنا ... فلا دِينُنا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وقال ابو العتاهية

يا من تَرَفَّعَ بالدنيا وزينَتِها ... ليس الترفّعُ رفعَ الطينِ بالطينِ

اذا ارَدْتَ شريفَ القَوْمِ كُلِّهِمُ ... فانظُرْ الى ملكٍ فى زِيِّ مِسكينِ
ذَاكَ الذى عُظِمَت فى النّاسِ هِمَّتُهُ ... وذاكَ يَصلُحُ للدنيا و للدّينِ

وقال اٰخر

هَبِ الدُّنيا تُساقُ اليكَ عَفْوًا ... اليسَ مَصيرُ ذاكَ الى زَوالِ

وقال محمود الوراق

هَىَ الدّنيا فلا يَغْرُرْكَ منها ... عَقائِلُ تَستَفِزُّ ذوى العقُولِ
اقَلُّ قَليلِها يكفيكَ منها ... ولكنْ لَستَ تَقنَعُ بالقليلِ
تُشيدُ وتبتَنى فى كلّ يوْمٍ ... وانت على التّجهزِ للرّحيل
ومن هذا على الايامِ تَبقَى ... مضارِبُهُ بمَدْرَجةِ السّيول

وقال اٰخر

دُنيا تَدَاوَلَها العبادُ ذميمةً ... شيبتْ باكرَهُ منْ نقيعِ الحَنْظَلِ
وثَبَاتُ دنيا ما تَزَالُ مُلِمّةً ... صنها فجائعُ مثلَ وقعِ الجَنْدَلِ

وقال اٰخر

حتى متى انت فى دُنياكَ مُشْتَغِلٌ ... وعامِلُ اللهِ بالرّحمٰنِ مشغولُ

وقال ابو نواس الحسن بن هانى

دعِ الحَرِصَ على الدُّنيا ... وفى العيشِ فلا تَطْمعْ
ولا تَجْمَعْ لكَ المالَ ... فما تَدْرى لمنْ تَجْمَعُ

ولا تدری ا فی ارضک امرک فی غیرها تُصرَعُ

قال الاصمعی سمعت اباعمرو بن العلاء یقول بینا انا ادور فی بعض البراری اذا انا بصوت۔

وإنِ امرأً دُنیاهُ اکثرُ هَمِّهِ لَمُستَمسِکٌ منها بحبلٍ غُرور

فقلت اِنسی امرجنی فلم یجبنی احد فنقشته علی خاتمی قال وسمع یحیی بن خالد بیت العدوی فی صفة الدنیا۔

حُتُوفُها رَصَدٌ وعیشُها نَکَدٌ وشُربُها رَنَقٌ ومُلکُها دُوَل

فقال: لقد نظم فی هذا البیت صفة الدنیا قال وسمع المامون بیت ابی نواس

اذا امتحَنَ الدنیا لَبیبٌ تکشّفتْ له عن عَدوٍّ فی ثیابِ صَدیق

فقال ولو سئلت الدنیا عن نفسها ما وصفت نفسها کصفة ابی نواس ۔ وقیل للحسن البصری ما تقول فی الدنیا ۔ قال ما اقول فی دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقیل ما سمعنا کلاما اوجز من هذا قال بلی کلام عمر بن عبد العزیز کتب الیه عدی بن ارطاة وهو علی حمص ان مدینة حمص قد تهدمت واحتاجت الی صلاح حیطانها فکتب الیه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام۔

محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن ابى همام وكان قد عرف ضيغما قال كنت معه
فى طريق مكة فلما بعدنا فى الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة
الحر فبكى ضيغم فقلت لو دعوت الله ان يمطر علينا كان اخف على
هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال ان شاء الله فعل قال فوالله
ما كان الا ان تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت * وعن عطاء بن
يسار ان ابا مسلم الخولانى خرج الى السوق بدرهم يشترى لاهله دقيقا
فعرض له سائل فاعطاه بعضه ثم عرض له سائل اخر فاعطاه الباقى
فاتى النجارين فملأ مزوده من نشارة الخشب واتى منزله فالقاه و
خرج هاربا من اهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حوارى
لم ترمثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من اين لك هذا قالت
الدقيق الذى جئت به وعن ابى عبد الله القرشى عن صديق له
قال دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب
ارسل الدلو فاخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لو لم ار اطيب
منه فلما كانت القابلة فى ذلك الوقت جاء الرجل وقد اسبل ثوبه
على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم ارسله فاخذته فشربت فضلته فاذا
هو ماء مضروب بالعسل لم ار شيئا قط اطيب منه فاردت ان اخذ

طرف ثوبه فانظر من هو فقاتنى فلما كان فى الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم فى ذلك الوقت فجاء الرجل وقد اسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وارسله واخذته وشربت فضلته فاذا هو اطيب من الاول فقلت يا هذا اسألك برب هذه البنية من انت قال تكتم علىّ حتى اموت قلت نعم + قال لى ناسفيان الثورى وكانت تلك الشربة تكفينى اذا شربتها الى مثلها لا اجد جوعًا ولا عطشًا وقال الاصمعى رأيت اعرابيا يكدح جبهته بالارض يريد ان يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال انى وجدت الاثر فى وجه الرجل الصالح وقال الشاعر

كيفَ يَبكى لِحَبسٍ فى طُلول ... مَنْ سَيَقْضِى لِيومِ حَبسٍ طويل
ان فى البَعثِ والحِسابِ لَشُغْلًا ... عن وقُوفٍ برَسمِ رَبعٍ مُحيل

وقال اٰخر

ان الشَّقِىَّ الذى فى النَّارِ مَنزِلُه ... والفَوزُ فَوزُ الذى يَنجو من النّار
يارَبِّ اسرَفتُ فى ذَنبِى ومَعصيتى ... وقد عَلِمتُ يقينًا سوءَ اٰثارى
فاغفِر ذُنوبًا اِلٰهى قد اَحَطتَ بها ... رَبَّ العِبادِ وزَحزِحنى عن النّار

وقال ذو الرمة

تعصى الاِلٰهَ وانتَ تُظهِرُ حُبَّهُ ... هذا مُحالٌ فى القياس بديعُ

لوكان حُبُّكَ صادقًا لاطعتَهُ ان المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

وقال ابونواس

ايا عجبًا كيف يُعصى الاله امكيف يجحده الجاحدُ
ولله في كل تحريكةٍ وتسكينة فاعلمن شاهدُ
وفي كل شيءٍ لهُ آيةٌ تدلُّ على انهُ واحدُ

وقال ايضا

سبحان من خلق الخلق من ضعيفٍ مهين
ليسوقهم من قرارٍ الى قرارٍ مكين
يحوز خلقًا فخلقًا في الحجب دون العيون
حتى بدت حركاتٌ مخلوقةٌ من سكون

وقال اخر

اخي ما بالُ قلبكَ ليس يَشقى كانكَ ما تظنُّ الموتَ حقًّا
الا يا ابنَ الذين صَفَوا وبادُوا اما والله ما ذهبوا ليبقى
ومالكَ غير تقوى الله زادٌ اذا جعلتَ الى الهوات ترقى

وقال اخر

يا قلبُ مهلًا وكُنْ على حذرٍ فقد لعمري أُمرتَ بالحذرِ
مالكَ بالترهاتِ مشتغلًا افي يديكَ الامان من سقرِ

وقال اخر

ان كنتَ تؤمِنُ بالقيا مةِ واجترأتَ على الخطيئة
فلقدْ هلكتَ وان جحدْ تَ فذاكَ اعظمُ للبليّة

وقال اخر

واقنيةُ الملوكِ محجّباتٌ وبابُ اللهِ مبذولُ الفناءِ
فما ارجو سواه لكشفِ ضرّي ولا افزعُ الى غيرِ الدعاءِ
ولا ادعو الى اللأواءِ كهفًا سوى من لا يصمُّ عن الدعاءِ

ضده

قيل كان جندى بقزوين يصلى فى بعض المساجد فافتقدَ المؤذن اياما فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن ابومن + فقال ابو الجحيم قال بئس ياهذا ردا الباب + قال وقيل للقينى ما ايسر ذنبك قال ليلة الدير قيل له وما ليلة الدير قال نزلت بدير نصرانية فاكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت[1] قيل اتى

[1] ذكر ابن قتيبة فى كتابه اخبار الشعراء هذه القصة لابى الطيب ان القينى وقد نسبت هذه الخزية ايضا للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا انزلت بلدة قوم + رحلت بخزية وتركت عارا

خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام احدهم
يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دُلينا على قحبة
قالت نعم كم انتم قالوا نحن اربعة فاوما الذى يصلى بيده
سبحان الله انا الخامس وقال الشاعر

وإنّنى فى الصلاة احضُرها ... ضَحِكَتْ اهلُ الصلاة إنْ شَهِدُوا
اقعُدُ فى سَجْدةٍ اذا ركعوا ... وارفعُ الراسَ ان هُمُ سَجَدوا
اسجُدُ والقومُ راكعونَ معًا ... واسرعُ الوَثْبَ انْ هُمُ قعدوا
فلستُ ادرى اذا هُمُ فرَغوا ... كم كان تلك الصلاة والعَدَدُ

وقال اخر

واصلى فاغلط الدهر فيما ... بين سَبْعٍ واربعٍ وثمانِ
ومواقيتُ حينها لستُ ادرى ... ما اذانٌ مُوَقَّتٌ من اذان

وقال اخر

نِعمَ الفتى لوكانَ يعرِفُ ربَّه ... ويُقيمُ وقتَ صلاتِه حمّادُ
عَدَلَتْ مشافِرُهُ الثِنانُ فانفَهَ ... مثلُ القَدُومِ يَسُنُّهُ الحَدّادُ
فابيَضَّ من شُرُبِ المُدامةِ وجهُه ... فبياضُه يومَ الحسابِ سوادُ

وقال اخر

إنْ قرأَ العادياتِ فى رَجَبٍ ... لم يَعْدُ صنها الا الى رَجَبِ

بل نحن لا نستطيع فى سنةٍ تختمُ تبّت يدا أبى لهبِ

محاسن الموت

فى الحديث المرفوع + الموت راحة .. وقال بعض السلف + ما من مؤمن الا والموت خيرٌ له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول (وما عند الله خير للابرار) وان كان مسيئا فالله تعالى جدّه يقول ايضًا (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثمًا) وقال ميمون بن مهران + اتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه فسألته الملوت فقلت + يا امير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا كثيرا احييت سننًا وامت بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين + فقال اما اكون كالعبد الصالح حين اقر الله عينه له امره قال (رب قد اتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث) الى قوله (والحقنى بالصالحين) فما دار عليه اسبوع حتى مات رحمه الله .. قالت الفلاسفة + لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حى ناطق ميت .. وقال بعض السلف .. الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استراح منه قال الشاعر

وما الموتُ الّا راحةٌ غيرَ انّهُ مِنَ المنزلِ الفانى إلى المنزلِ الباقى

وقال آخر

جَزَا اللهُ عنّا الموتَ خيرًا فانّه ... أَبَرَّ بنا من كُلِّ بَرٍّ وآرَأَفُ
يُعَجِّلُ تخليصَ النُّفوسِ من الأذى ... ويُدْنى من الدّارِ التى هى أشرفُ

وقال منصور الفقيه

قد قلتُ إنْ مدحوا الحياةَ فاسرفوا ... فى الموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعرَفُ
منها امانٌ بعدائه بلقائه ... وفراق كُلِّ معاشِرٍ لا يُنصِفُ

وقال احمد بن ابى بكر الكاتب

من كان يَرْجُو أن يَعيشَ فإنّنى ... أصبحتُ أَرْجو أنْ أموتَ فأعتقا
فى الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنّها ... عُرِفتْ لكان سبيلهُ أن يُعْشقا

وقال لنكك البصرى

نحنُ واللهِ فى زمانٍ غشومٍ ... لو رأيناهُ فى المنامِ فزِعْنا
اصبحَ النّاسُ فيهِ من سوءِ حالٍ ... حقَّ مَنْ ماتَ منهُمُ أن يُهَنّا

ضده

فى الحديث المرفوع اكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت..

قال الشاعر

يا مودِعًا ما اجفالَ من نازلٍ ... تنزلُ بالمرءِ على رَغمِهِ
تستلبُ العذراءَ من خِدرِها ... وتأخذُ الواحدَ من أمّهِ

وقال

وكُلّ ذى غيبةٍ له إيابٌ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتضل فيها سهام المنايا، وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك، وقال بعضهم الموت اشد مما قبله واهون مما بعده، ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئا اوله هذا الحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره الحقيق ان يزهد فى اوله * وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفارقة من وكبها اضل خبره وعفى اثره، والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بحمد الله المنزه عن المساوى والاضداد تم طبع كتاب المحاسن والاضداد وكان ذلك فى غرة محرم الحرام من شهور سنة ١٣٢٩

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم